الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور- خنشلة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

محاضرات في مادة

البعد الوحدوي المغاربي للحركة الوطنية الجزائرية

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة أولى ماستر(السداسي الثاني)

تخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

إعداد الدكتور:

رامي سيدي محمد

السنة الجامعية: 2025-2026

بسم الله الرحمن الرحيم

المطبوعة منجزة بالاعتماد على ما جاء في وثيقة مواءمة عرض التكوين ماستر أكاديمي (caneva)

بجامعة عباس لغرور – خنشلة (2017-2018)

الميدان علوم إنسانية واجتماعية

الفرع: علوم إنسانية - تاريخ

عنوان الماستر: المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

السداسي: الثاني

اسم الوحدة: استكشافية

اسم المادة (اختيارية): البعد الوحدوي ألمغاربي للحركة الوطنية الجزائرية

الرصيد:01

المعامل:01

أهداف التعليم:

معرفة عمق الروابط التي تجمع بين شعوب المغرب العربي وتجلياتها في مرحلة الكفاح ضد الاستعمار وإدراك سبق ومبادرة ودور الجزائر في إرساء هياكل الوحدة وتحفيز انطلاق العمل الثوري في الأقطار المغاربية

المعارف المسبقة المطلوبة:

إن يكون مدركا للروابط الجغرافية والحضارية التي جمعت بين دول المغرب العربي عبر امتداد فترات التاريخ

محتوى المادة: (لم تتضمن وثيقة مواءمة عرض التكوين على محتوى هذه المادة ولذلك تم اقتراح محتوى بما يناسب التخصص وأهداف التعليم الخاصة بهذه المادة)

- ✓ الجذور التاريخية والحضارية للوحدة المغاربية
- ✓ البدايات الأولى للكفاح المغاربي المشترك(1920-1939)

- ✓ تطور المؤسسات المغاربية المشتركة(1926-1947)
- ✓ محاولات الوحدة المغاربية خلال الحرب العالمية الثانية(1939-1945)
- ✓ تبلور الكفاح المغاربي المشترك بعد الحرب العالمية الثانية(1943-1947)
- ✓ دور الحركة الوطنية الجزائرية في الكفاح المغاربي المشترك(1947-1954)
- ✓ دور التيار الاستقلالي في بلورة الكفاح الثوري المغاربي(1948-1954)
- ✓ الكفاح المغاربي المشترك مع بداية الثورة الجزائرية(1954-1956)

طريقة التقييم:

مر اقبة مستمرة، امتحان.... إلخ (يُترك الترجيح للسلطة التقديرية لفريق التكوين)

مقدمة:

المقاومة رد فعل رسمي أو شعبي طبيعي ضد فعل الاحتلال الأجنبي لأي منطقة عبر العصور، وقد تكون عسكرية عنيفة أو سلمية سياسية ثقافية، بطرق منظمة أو عفوية تشابهت الكثير منها بين الشعوب المستعمرة، وغالبا ما تشهد تضامنا بين الشعوب المستعمرة وحتى دعما وتعاونا في حركة المقاومة ضد الاستعمار.

عرفت منطقة المغرب العربي سلسلة ممنهجة من الحركة الاستعمارية الأوربية، خلال القرن 19م وبداية القرن 20م، وكغيرها من الشعوب، ردت الشعوب المغاربية على هذه الحركة بتنظيم العديد من المقاومات المسلحة لصد الاحتلال أولا، ثم المقاومة السياسية أو ما عرف بالحركة الوطنية في مرحلة أخرى من الوجود الاستعماري في كل قطر من أقطار المغرب العربي، ورغم وجود التعاون والدعم والتضامن بين شعوب المغاربية في فترة المقاومات الشعبية المسلحة، إلا أن هذا التعاون ظهر بشكل جلي في فترة الحركة الوطنية السياسية وما تلاها من تحضير وتفجير الثورات التحريرية في البلدان المغاربية خاصة الجزائر وتونس والمغرب، وسمي هذا التعاون بالكفاح المغاربي المشترك من أجل توحيد جهود النضال المغاربي ضد الاحتلال، والذي كان للحركة الوطنية الجزائرية دور بارز في مختلف مراحله؛ ومن هنا يأتي موضوع مادتنا التي نقدمها لطلبة السنة أولى ماستر تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية خلال السداسي الثاني، والموسومة بـ:

البعد الوحدوي المغاربي للحركة الوطنية الجزائرية

تمثل هذه المادة معيارًا متخصصًا مدمجًا في المناهج التدريبية لطلاب السنة الأولى ماستر في هذا التخصص الذين يركزون على «المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية». وتهدف المادة إلى توضيح الدور المحوري الذي تضطلع به الحركة الوطنية الجزائرية بمختلف تياراتها خاصة الاستقلالي، في تصور وتطوير النضال المغاربي الجماعي أو الموحد ضد الاستعمار الفرنسي خاصة، بما يعكس الجوهر المتماسك الذي ميز جهود التحرر في المنطقة المغاربية خلال النصف الأول من القرن العشرين.

إن البحث في تاريخ البعد الوحدوي المغاربي للحركة الوطنية الجزائرية له أهمية كبيرة في التطوير العلمي لباحث متخصص في السرديات التاريخية للمقاومة والحركات الوطنية، ويعزز هذا البحث فهمًا عميقًا للترابطات التاريخية والثقافية والجغرافية التي وحدت شعوب المغرب العربي، فضلاً عن إظهار دور هذه الجمعيات والأحزاب في المساعي السياسية والناشطة لحركات التحرر. علاوة على ذلك، يزود هذا الإجراء

الطلاب بالقدرة على الاعتراف بالدور الرائد للجزائريين في إنشاء أطر الوحدة المغاربية وتحفيز الأعمال الثورية في الدول المغاربية الأخرى، وبالتالي تأهيلهم كباحثين بارعين قادرين على إجراء تحليلات متعمقة لتجارب الوحدة العربية والأفريقية.

تتناول هذه المطبوعة البيداغوجية تطور مفهوم الوحدة المغاربية والنضال الجماعي من منظور الحركة الوطنية الجزائرية؛ وارتكزت صياغتها على مقاربة متعددة الأوجه تدمج منهجية تحليلية تاريخية لتتبع تطور المشروع الوحدوي زمنياً، إلى جانب فحص العوامل والسياقات والنتائج؛ ومقاربة أو مقارنة مواقف مختلف تيارات وأحزاب الحركة الوطنية الجزائرية من المبادرة المغاربية.

في حين أن منطقة المغرب العربي اتسمت تاريخياً بروابط جغرافية وثقافية ودينية ولغوية عميقة، يبقى السؤال الأكثر إلحاحًا: كيف تجلى هذا الوعي الوحدوي في الممارسات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية خلال نضالها ضد الوجود الاستعماري الفرنسي؟ وما هو الدور الذي لعبته الحركة الوطنية الجزائرية في تشكيل مشروع الوحدة المغاربية والنضال المشترك ضد الاضطهاد الاستعماري؟ يشكل هذا الاستفسار المركزي المحور الأساسي لهذا المنشور التعليمي، ويشمل سلسلة من الأسئلة الفرعية التي تم تصميم المحاضرات المختلفة لمعالجتها.

ونطمح إلى أن تسهل هذ المطبوعة البيداغوجية مهمة تحقيق الأهداف المرسومة في هذه المادة، وأن تساعد الطالب الباحث في الوصول إلى فهم عميق لدور الحركة الوطنية الجزائرية في النهوض بالمبادرة الوحدوية المغاربية، وكذلك في استخلاص الرؤى والدروس من هذه التجربة التاريخية الغنية؛إن السعي إلى الوحدة المغاربية يتجاوز مجرد المثالية؛ فهو يمثل ضرورة تاريخية وجغرافية وثقافية. تشكل التجربة الجماعية للنضال ضد الاستعمار رصيدًا مهمًا يجب الاستفادة منه لتحقيق هذا الطموح الاستراتيجي.

أستاذ المادة:

د. رامي سيدي محمد

قسم العلوم الإنسانية

جامعة عباس لغرور- خنشلة

المحاضرة الأولى: المغرب العربي: التعريف والمقومات الجغرافية والحضارية

مقدمة:

يشكل المغرب العربي مجالًا جغرافيًا وثقافيًا بالغ الأهمية في المجالين العربي والإسلامي. إنها بمثابة امتداد طبيعي للعالم العربي الواسع نحو محيطه الغربي. تمثل هذه المنطقة قناة ثقافية تربط العالمين العربي والأفريقي بالإضافة إلى أحواض البحر الأبيض المتوسط والأطلنطي (1). على مدار مسارها التاريخي الواسع، شهدت هذه المنطقة تماسكًا جغرافيًا وثقافيًا ودينيًا ولغويًا يميزها عن شرائح أخرى من العالم العربي، على الرغم من تحمُّلها العديد من التقسيمات السياسية والإدارية (2). إن الفهم الشامل لهذه العوامل الموضوعية التي تساهم في الوحدة المغاربية أمر ضروري لاستيعاب المبادئ التأسيسية التي تأسست عليها مبادرة المقاومة المغاربية التعاونية في عهد الاستعمار الفرنسي (3).

أولاً: تعريف المغرب

1. أسماء ومفاهيم متعددة:

نُسبت العديد من المصطلحات والأطر المفاهيمية إلى منطقة المغرب العربي والدول المكونة لها، اعتمادًا على النماذج الفكرية والإيديولوجية التي يطرحها كل من العلماء الغربيين والعرب (4). تشمل أبرز هذه التسميات ما يلي:

أ- بربريا: التسمية الأوروبية لهذه المنطقة هي «بلد البربر» أو «أرض البرابرة»، استناداً إلى الاعتقاد بأن السكان الأصليين يتألفون من البربر (5). ترجع أصول هذه التسمية إلى التصنيفات الرومانية القديمة التي وصفت المجموعات غير الرومانية بـ«البرابرة»، مما يشير إلى صورة الغرابة أو الافتقار إلى الحضارة (6). ومع ذلك، فإن هذا المصطلح مشبع بآثار سلبية وعنصرية، ويفشل في تمثيل الصدق التاريخي والثقافي للمنطقة بدقة (7).

ب- شمال إفريقيا (Afrique du Nord): يشار إلى المنطقة باسم «شمال إفريقيا» نظرًا لموقعها الجغرافي داخل الجزء الشمالي من القارة الأفريقية (8). هذا التصنيف جغرافي في الغالب ويستخدم كثيرًا في الأدب الغربي، لا سيما في الخطاب الفرنسي، للإشارة إلى الأراضي الاستعمارية الفرنسية في شمال إفريقيا، بما في ذلك الجزائر وتونس والمغرب (9). ومع ذلك، فإن هذه التسمية خالية من أي أهمية ثقافية أو وطنية وتهمل التراث العربي الإسلامي المتأصل في المنطقة (10).

ج- **يمثل المغرب العربي (المغرب العربي)** المصطلح الأكثر انتشارًا في السياقات الأدبية العربية والإسلامية. وتُترجم إلى «الغرب العربي» أو «المغرب العربي»، على النقيض من «المشرق العربي»، الذي يشمل بلاد الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية (11). يُبرز هذا التصنيف الانتماءات العربية والإسلامية للمنطقة، ويضعها ضمن الوسط العربي الأوسع، ويعكس الهوية الثقافية المشتركة بين السكان (12).

د- **المغرب الإسلامي** هو تسمية تؤكد الأبعاد الدينية والثقافية الإسلامية للمنطقة، وتربطها بالعالم الإسلامي الأوسع (13). يشيع استخدام هذا المصطلح في التحليلات التاريخية المتعلقة بالعصر الإسلامي ويلخص الدور الثقافي الذي لعبته المنطقة في نشر الإسلام في جميع أنحاء إفريقيا وأوروبا (14).

2. الحدود الجغرافية للمغرب العربي:

جغرافيًا، يمتد المغرب العربي من البحر الأبيض المتوسط في الامتداد الشمالي إلى الصحراء الكبرى في الجنوب، ومن المحيط الأطلسي في الغرب إلى الحدود الشرقية لليبيا (15). وهي تضم خمس دول: موريتانيا والمغرب والجزائر وتونس وليبيا (16). تبلغ مساحة الأرض الإجمالية في المغرب العربي حوالي ستة ملايين كيلومتر مربع، وهو ما يمثل ما يقرب من ثلث العالم العربي بأكمله (17). يقدر عدد سكان هذه المنطقة بما يقرب من 100 مليون (18).

من حيث التضاريس الطبيعية، تتميز المنطقة بتنوع المناظر الطبيعية، بما في ذلك سلاسل الجبال (الأطلس والريف والأوريس وجبل شيتانا) والسهول الساحلية الخصبة والهضاب الداخلية والصحاري الشاسعة (الصحراء الكبرى) (19). وقد أثرت هذه التعددية الجغرافية بشكل كبير على الممارسات الاقتصادية والاجتماعية داخل المنطقة عبر الجداول الزمنية التاريخية (20).

ثانياً: المكونات الموضوعية للوحدة المغاربية

تجاوز مفهوم الوحدة المغاربية مجرد الخطاب السياسي أو التطلعات الأيديولوجية. وقد تأسست على عناصر موضوعية عميقة شكلت هوية جماعية لسكان المنطقة على مر القرون (21). يمكن تلخيص هذه العناصر بإيجاز على النحو التالي:

1. الوحدة الجغرافية:

يشكل المغرب العربي كيانًا جغرافيًا فريدًا، يحدده من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب الصحراء الكبرى الشاسعة. وقد منحت هذه الحدود الطبيعية المنطقة تفردًا جغرافيًا يميزها عن

المناطق العربية الأخرى (22). علاوة على ذلك، لعب وجود سلاسل جبلية واسعة (الأطلس)، وسهول ساحلية مماثلة، وشبكة معقدة من الوديان المترابطة دورًا محوريًا في تعزيز الترابط الجغرافي بين أجزاء مختلفة من المنطقة (23). بالإضافة إلى ذلك، فإن طرق التجارة التاريخية التي كانت تربط بين دول المغرب العربي (بما في ذلك القوافل الصحراوية والطرق الساحلية) سهلت بشكل كبير حركة السكان وتواصلهم (24).

2. الوحدة التاريخية:

على مدار تاريخها الواسع، شهدت منطقة المغرب العربي مراحل عديدة من التماسك السياسي. لقد خضعت لقوى شاملة وحّدت أراضيها تحت كيان سياسي واحد (25). خلال الفترة الرومانية، تم الاعتراف بالمنطقة كقسم إداري للإمبراطورية الرومانية (26). بعد الفتح الإسلامي، وقعت المنطقة تحت رعاية الخلافة الإسلامية (في البداية الأموية ثم العباسية لاحقًا)، مما أدى إلى إنشاء دول محلية موحدة، بما في ذلك الدولة الإدريسية، والدولة الفاطمية، والدولة المرابطية، والدولة الموحدية، والدولة الحفصية، والدولة الزيانية، والدولة المرينية (27). على الرغم من التنوع الزمني والظرفي لهذه الدول، إلا أنها جسدت بشكل جماعي الوحدة السياسية للمغرب العربي عبر مختلف الحقب التاريخية (28).

وبالمثل، شهدت المنطقة تاريخًا مشتركًا من المقاومة ضد الغزوات الخارجية، بدءًا من الحروب الصليبية في العصور الوسطى إلى التوغلات الإسبانية والبرتغالية لبعض المدن الساحلية، وبلغت ذروتها في الاستعمار الفرنسي والإسباني والإيطالي خلال العصر الحديث (29). لقد عززت هذه الرواية الجماعية للمقاومة إحساسًا معززًا بالمصير المشترك والخصم المشترك (30).

3. الوحدة الدينية واللغوية:

تشكل العقيدة الإسلامية واللغة العربية العناصر الأساسية للهوية المغاربية المشتركة (31). بعد الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، اعتنق سكان المنطقة الإسلام واعتمدوا اللغة العربية كوسيلة رئيسية للأغراض الدينية والثقافية والإدارية (32). على الرغم من أن شرائح من السكان البربر قد حافظت على لغاتها الأصلية في مناطق محددة، فقد برزت اللغة العربية كلغة عالمية ومتماسكة في جميع أنحاء المنطقة (33). سادت المدرسة المالكي للفقه الإسلامي باعتبارها العقيدة القانونية السائدة في جميع أنحاء المغرب العربي، مما ساهم في تجانس الممارسات الدينية والاجتماعية (34).

ظهرت الثقافة الإسلامية كعامل موحد سائد بين السكان المتنوعين في المنطقة. تم تعزيز العادات والتقاليد والاحتفالات والطقوس الدينية المشتركة، مصحوبة بانتشار الطرق الصوفية (مثل التيجانية

والقادرية والشاذلية) التي وحدت الأتباع من جميع أنحاء المغرب العربي (35). علاوة على ذلك، ازدهرت المؤسسات العلمية الدينية البارزة (بما في ذلك جامعة القرويين في فاس وجامعة الزيتونة في تونس)، وجذبت الطلاب من جميع أنحاء المنطقة (36).

4. الوحدة الثقافية والثقافية:

بالإضافة إلى السمات الدينية واللغوية المشتركة، تمتلك شعوب المغرب تراثًا ثقافيًا غنيًا ومتعدد الأوجه (37). تُظهر العمارة المغاربية (التي تشمل المساجد والهياكل الفخمة والمراكز الحضرية القديمة) أسلوبًا معماريًا مميزًا وجماعيًا (38). تمتلك التعبيرات الفنية، بما في ذلك الموسيقى وأشكال الفن الأخرى (مثل الموسيقى الأندلسية والملحنين والغناء الشعبي)، سمات مشتركة تتجاوز الحدود الإقليمية (39). تُظهر الملابس التقليدية وممارسات الطهي والحرف اليدوية أوجه تشابه مذهلة في جميع البلدان داخل المنطقة (40).

انخرطت النخب الثقافية والفكرية في المغرب العربي تاريخياً في التواصل والتفاعل المستمر. غالبًا ما اجتاز العلماء والكتاب والشعراء العديد من المدن المغاربية (مثل فاس وتونس وتلمسان والقيروان) بحثًا عن المعرفة أو فرص التدريس أو الاستقرار الشخصي (41). وقد ساهم هذا الحراك الفكري بشكل كبير في إنشاء مشهد ثقافي متماسك داخل المغرب العربي (42).

5. روابط اقتصادية واجتماعية:

إن الروابط الاقتصادية بين الدول المغاربية قديمة وعميقة. ربطت طرق التجارة العابرة للقارات التي تعبر الصحراء والتجارة البحرية عبر البحر الأبيض المتوسط تاريخياً مدن المغرب العربي (43). كانت الأسواق الإقليمية البارزة بمثابة مراكز للتجار من جميع أنحاء المنطقة (44). علاوة على ذلك، أدت حركات هجرة السكان بين بلدان المغرب العربي (سواء بحثًا عن فرص اقتصادية أو كوسيلة للهروب من الجفاف أو الصراع) إلى زيادة تعزيز الروابط الاجتماعية (45).

تجاوزت الانتماءات العائلية والقبلية الحدود الإدارية، حيث امتلكت بعض القبائل فروعًا واسعة عبر دول المغرب المتعددة (46). كان حدوث التزاوج بين الأفراد من مختلف البلدان سائدًا أيضًا، مما أدى إلى تقوية الروابط الاجتماعية (47).

ثالثا: المراحل الأولية للوعي فيما يتعلق بالوحدة المغاربية

لم يظهر الوعي المحيط بمفهوم الوحدة المغاربية في القرن العشرين. بدلاً من ذلك، لديها سوابق تاريخية تعود إلى الحقب السابقة (48). خلال العصور الوسطى، أشار المثقفون والمؤرخون المسلمون بشكل متكرر إلى «المغرب العربي» ككيان جغرافي وثقافي متميز (49). في مقدمته الشهيرة، أولى ابن خلدون اهتمامًا كبيرًا لمناقشة «المغرب»، وسماته، وسرده التاريخي، وإدراكه كوحدة متكاملة (50).

ومع ذلك، بدأ الوعي السياسي المنظم فيما يتعلق بضرورة الوحدة المغاربية استجابةً للتهديدات الخارجية يتجسد مع ظهور الاستعمار الأوروبي للمنطقة في القرن التاسع عشر (51). أثار الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830 مخاوف كبيرة في تونس والمغرب، حيث أدركت النخب السياسية والدينية أن التهديد الاستعماري يعرض المنطقة بأكملها للخطر (52). تلقت جهود المقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (بما في ذلك المقاومة التي قادها الأمير عبد القادر من 1832-1847، ومقاومة المكراني في عام 1871، ومقاومة بوعمامة في الجنوب) الدعم والتأييد من المغرب وتونس (53).

في فجر القرن العشرين، ومع تصاعد الضغوط الاستعمارية على تونس والمغرب، بدأ الاعتراف بضرورة التضامن المغاربي في الاندماج بشكل أكثر وضوحًا (54). أدى إنشاء الحماية الفرنسية على تونس عام 1881، والمغرب عام 1912، والاحتلال الإيطالي لليبيا عام 1911 إلى تكثيف الشعور بالمصير المشترك وضرورة تنسيق الجهود ضد الاستعمار (55).

كانت الحرب العالمية الأولى (1914-1918) بمثابة نقطة تحول محورية. جندت فرنسا عشرات الآلاف من المغاربيين للمشاركة في القتال في ساحات القتال الأوروبية (56). أدى هذا التجنيد الإجباري إلى توحيد الجنود الجزائريين والتونسيين والمغربيين في نفس الخنادق، مما عزز وعيهم بالمصير المشترك والعدو المشترك (57). كما ساهم تعرض هؤلاء الجنود للأفكار المعاصرة في أوروبا (مثل مبادئ الحرية والديمقراطية والحق في تقرير المصير) في تطوير وعي سياسي جديد (58).

خاتمة:

يشكل المغرب العربي كيانًا جغرافيًا وتاريخيًا وثقافيًا متميزًا تأسس على عناصر موضوعية عميقة وحدت سكانه على مدى قرون عديدة، وضعت هذه العناصر الأساس لفكرة النضال الجماعي المغاربي ضد الاستعمار خلال القرن العشرين ، كما سيتم توضيحه في المحاضرات اللاحقة، لعبت الحركة الوطنية

الجزائرية دورًا محوريًا في تحقيق هذا البعد الوحدوي من خلال الشروع في إنشاء مؤسسات وأطر للنضال التعاوني.

الهوامش:

(1)عبد الكريم غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية إلى إعلان الاستقلال 1927-1956* (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1987)، ص 23.

(2)أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج1 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992)، ص 45.

(3)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج1، ص 56.

(4)محمد علي دبوز، *المغرب الكبير*، ج1 (الجزائر: المطبعة الجزائرية، 1963)، ص 15.

(5)دبوز، *المغرب الكبير*، ج1، ص 16.

(6)جمال حمدان، *شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان* (القاهرة: دار الهلال، 1993)، ص 123.

(7)حمدان، *شخصية مصر*، ص 124.

(8) Charles-André Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, vol. 2 (Paris: Payot, 1969), 45.

(9) Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, vol. 2, 56.

(10)محمد حربي، *الجزائر: التاريخ والمجتمع* (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986)، ص 34.

(11)دبوز، *المغرب الكبير*، ج1، ص 19.

(12)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج1، ص 67.

(13)عبد الحميد زوزو، *نصف قرن من النضال* (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982)، ص 28.

(14)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 29.

(15)دبوز، *المغرب الكبير*، ج1، ص 23.

(16)دبوز، *المغرب الكبير*، ج1، ص 24.

(17)غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ص 34.

(18)غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ص 35.

(19)حمدان، *شخصية مصر*، ص 145.

(20)حمدان، *شخصية مصر*، ص 146.

(21)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج1، ص 78.

(22)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج1، ص 79.

(23)دبوز، *المغرب الكبير*، ج1، ص 34.

(24)دبوز، *المغرب الكبير*، ج1، ص 35.

(25)عبد الله العروي، *تاريخ المغرب: محاولة في التركيب* (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1994)، ص 89.

(26)العروي، *تاريخ المغرب*، ص 90.

(27)ابن خلدون، *العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر*، ج6 (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1983)، ص 123.

(28)ابن خلدون، *العبر*، ج6، ص 124.

(29)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج1، ص 89.

(30)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج1، ص 90.

(31)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 45.

(32)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 46.

(33)دبوز، *المغرب الكبير*، ج1، ص 45.

(34)دبوز، *المغرب الكبير*، ج1، ص 46.

(35)علي مراد، *الحركات الصوفية في الجزائر* (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984)، ص 78.

(36)مراد، *الحركات الصوفية في الجزائر*، ص 79.

(37)غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ص 45.

(38)غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ص 46.

(39)محمد الفاسي، *التراث الموسيقي المغاربي* (الرباط: منشورات وزارة الثقافة، 1978)، ص 34.

(40)الفاسي، *التراث الموسيقي المغاربي*، ص 35.

(41)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج1، ص 101.

(42)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج1، ص 102.

(43)دبوز، *المغرب الكبير*، ج1، ص 56.

(44)دبوز، *المغرب الكبير*، ج1، ص 57.

(45)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 56.

(46)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 57.

(47)غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ص 56.

(48)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج1، ص 112.

(49)ابن خلدون، *العبر*، ج6، ص 45.

(50)ابن خلدون، *العبر*، ج6، ص 46.

(51)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج1، ص 123.

(52) Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, vol. 2, 167.

(53)يحيى بوعزيز، *الثورات الجزائرية في القرنين التاسع عشر والعشرين* (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1980)، ص 89.

(54)بوعزيز، *الثورات الجزائرية*، ص 90.

(55)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج1، ص 134.

(56)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 67.

(57)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 68.

(58)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج1، ص 145..

المحاضرة الثانية:

الإرهاصات الأولى للوعي المغاربي في الحركة الوطنية الجزائرية(1919-1926)

مقدمة:

مثلت الحقبة التي أعقبت انتهاء الحرب العالمية الأولى (1914-1918) منعطفًا محوريًا في المسار التاريخي للحركة الوطنية الجزائرية. شهدت هذه الحقبة ظهور جيل جديد من النخب السياسية التي تأثرت بشدة بمبادئ تقرير المصير التي تبناها الرئيس الأمريكي ويلسون، والثورة البلشفية في روسيا، وحركات التحرر المختلفة على مستوى العالم (1). في هذا الوسط، بدأت المؤشرات الناشئة لوعي مغاربي موحد تتحقق بين رواد الحركة الوطنية الجزائرية، الذين لاحظوا ترابط وترابط القضايا الوطنية التي تواجه الدول المغاربية الثلاث (الجزائر وتونس والمغرب) وأقروا بضرورة النضال المنسق والموحد ضد الاستعمار الفرنسي (2).

أولاً: دور الأمير خالد في ترسيخ الوعي المغاربي

برز الأمير خالد بن الهاشمي (1875-1936)، وهو سليل الأمير عبد القادر، كواحد من أوائل القادة الجزائريين الذين أدركوا أهمية المنظور المغاربي في النضال الوطني (3). بعد عودته من الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى، انخرط الأمير خالد في المساعي السياسية وأنشأ صحيفة «الإحكام» في عام 1919، والتي كانت بمثابة منصة للتعبير عن تطلعات الجزائريين (4).

كان الأمير خالد من بين المؤيدين الأوائل لمفهوم «الرابطة الإسلامية» التي تهدف إلى توحيد المسلمين في مقاومتهم ضد الاستعمار الغربي (5). كان هذا الوعي الجماعي واضحًا في مراسلاته مع القادة الوطنيين من تونس والمغرب، حيث دعا إلى توحيد الجهود وتنسيق المواقف في مواجهة الإدارة الاستعمارية الفرنسية (6).

في عام 1923، أُجبر الأمير خالد على مغادرة الجزائر بسبب الضغوط التي مارستها السلطات الفرنسية. انتقل بعد ذلك إلى فرنسا ثم إلى مصر وسوريا، حيث استمر في نشاطه السياسي وأصبح رمزًا للنضال الجماعي المغاربي ضد الحكم الاستعماري (7). وفي القاهرة، اجتمع الأمير خالد مع قادة المغرب في المنفى أو الشتات، بما في ذلك عبد العزيز الثعالبي، الشخصية التونسية، وعلال الفاسي، الزعيم المغربي (8). شكلت هذه التجمعات النواة الأولية لإنشاء جبهة مغاربية موحدة ضد الاستعمار الفرنسي (9).

ثانياً: ظهور حركة الأمير خالد ومطالب الإصلاح

في البداية، تركزت مطالب الأمير خالد على الدعوة إلى المساواة بين الجزائريين والشعب الفرنسي فيما يتعلق بالحقوق السياسية والاقتصادية، المتضمنة في ما أصبح يعرف باسم «حركة المساواة» (10). ومع ذلك، ورداً على عناد الإدارة الاستعمارية ورفضها للإصلاحات الجوهرية، تطورت مطالب الأمير خالد نحو السعي إلى الاستقلال والحرية (11).

في برنامجه السياسي، أكد الأمير خالد باستمرار على ضرورة التضامن بين شعوب المغرب العربي في مواجهة الاستعمار (12). وأكد أن المأزق الجزائري مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالقضايا التي تواجهها تونس والمغرب، مؤكدا أن نجاح أي من هذه النضالات يتوقف على تنسيق الجهود وتوحيد المواقف (13). هذا الاعتراف المبكر بالبعد المغاربي سيؤثر لاحقًا بشكل عميق على الأجيال القادمة من القادة الوطنيين الجزائريين، ولا سيما مصالي الحاج (14).

ثالثا: دور الهجرة المغاربية إلى فرنسا في تشكيل الوعي المشترك

شكّل تدفق المهاجرين المغاربيين إلى فرنسا في أعقاب الحرب العالمية الأولى عنصرًا حاسمًا في تشكيل الوعي المغاربي المشترك (15). هاجر عشرات الآلاف من الجزائريين والتونسيين والمغاربة إلى فرنسا بحثًا عن فرص عمل، لا سيما داخل المصانع والموانئ (16). بدأ هؤلاء المهاجرون، الذين أقاموا في ظروف فقيرة وعملوا في ظل ظروف شاقة، في تنمية الشعور بالمصير الجماعي والمعاناة المشتركة (17).

داخل المصانع وأحياء الطبقة العاملة في باريس ومرسيليا وليون، تفاعل العمال المغاربيون مع بعضهم البعض ومع العمال الأوروبيين، مما سهل تعرضهم للأيديولوجيات السياسية والنقابية المعاصرة (18). بدأ الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي تأسس عام 1920، في جذب بعض العمال المغاربيين من خلال خطابه المناهض للاستعمار الذي يدعو إلى حق الشعوب في تقرير المصير (19).

في هذا الوسط، بدأت النوادي والجمعيات المغاربية بالظهور داخل فرنسا، حيث كانت بمثابة تجمعات للمهاجرين من البلدان الثلاثة مع تنظيم الأنشطة الثقافية والاجتماعية والسياسية نيابة عنهم (20). شكلت هذه الجمعيات الإطار الافتتاحي لتعزيز الوعي السياسي المغاربي والوحدة (21).

رابعا: أفكار الإصلاح و أثرها على الوعي المغاربي

خلال عشرينيات القرن العشرين، لاحظ المغرب العربي ظهور حركة الإصلاح الديني التي تأثرت بشكل كبير بالإيديولوجيات الإصلاحية التي أصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا في المشرق العربي (22). دعت هذه الحركة، التي قادها في الجزائر مثقفون مثل عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، وفي تونس الشيخ طاهر بن عاشور، وفي المغرب علال الفاسي ومحمد بن حسن الحجاوي، إلى العودة إلى الإسلام الأصيل، والتنقية من الابتكارات والأساطير، وتعزيز الأطر التعليمية العربية الإسلامية (23).

على الرغم من أن هذه الحركة الإصلاحية ركزت في الغالب على الأبعاد الدينية والتعليمية، إلا أنها لعبت عن غير قصد دورًا محوريًا في النهوض بالوعي المغاربي المشترك (24). إن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والمقاومة ضد الاستعمار، التي شكلت تهديدًا للهوية الإسلامية، استلزمت ضمنيًا الدعوة إلى التضامن بين دول المغرب العربي (25). حافظ العلماء الإصلاحيون في الدول الثلاث على التواصل المستمر وتبادل المراسلات والمقالات والمشاركة بنشاط في المؤتمرات والندوات التعاونية (26).

خامساً: الثورة الريفية (1921-1926) واستجابتها المغاربية

مثلت الثورة الريفية التي نظمها محمد بن عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي ضد الهيمنة الاستعمارية الإسبانية والفرنسية (1921-1926) حدثًا أساسيًا في المسار التاريخي للوعي المغاربي (27). هذه الثورة، التي نجحت في إلحاق هزائم عسكرية كبيرة بالقوات الاستعمارية وإنشاء «جمهورية الريف» المستقلة لمدة خمس سنوات، أثارت الإعجاب والحماس بين سكان المغرب العربي وظهرت كرمز قوي للمقاومة ضد الاضطهاد الاستعماري (28).

في الجزائر، راقبت الحركة الوطنية، بجميع فصائلها، عن كثب تطورات الثورة الريفية وأعربت عن تضامنها مع الخطابي (29). كتب الأمير خالد عدة مقالات في منشوره يشيد بشجاعة ثوار الريف وحث الجزائريين على محاكاة مثالهم (30). بالإضافة إلى ذلك، تم تجنيد بعض المتطوعين الجزائريين في صفوف جيش الخطابي للمشاركة في النضال ضد الاستعمار (31).

وبالمثل، في تونس، كان للثورة الريفية تأثير عميق. تم تنظيم المظاهرات تضامنًا مع الخطابي، وتم جمع المساهمات المالية لدعم الثوار (32). أعلن الحزب الدستوري التونسي، بقيادة عبد العزيز الثعالبي، دعمه القاطع للثورة الريفية، واعتبرها كفاحًا مغاربيًا جماعيًا (33).

ومع ذلك، بلغت الثورة الريفية ذروتها بالهزيمة في عام 1926، في أعقاب تحالف عسكري هائل بين القوات الفرنسية والإسبانية أدى في النهاية إلى قمعها (34). شكّل استسلام الخطابي ونفيه اللاحق إلى جزيرة ريونيون في المحيط الهندي صدمة كبيرة للحركة الوطنية المغاربية (35). ومع ذلك، قدمت هذه التجربة دروسًا مهمة، لا سيما ضرورة توحيد الجهود المغاربية وتنسيق المقاومة ضد الاستعمار في جميع أنحاء المنطقة (36).

خاتمة:

شكلت الفترة الممتدة من 1919 إلى 1926 المرحلة الأولى في تطور الوعي المغاربي المشترك بين الحركة الوطنية الجزائرية ؛إن الدور البارز للأمير خالد، وتداعيات الهجرة المغاربية إلى فرنسا، وظهور حركة الإصلاح الديني، وتداعيات الثورة الريفية، كلها عوامل عززت القناعة الراسخة بين النخب الوطنية بأن النضال ضد الاستعمار يتطلب نهجًا مغاربيًا تعاونيًا؛ سيتجلى هذا الوعي لاحقًا بطريقة منظمة ومؤسسية في المرحلة التالية، وتجسد في إنشاء نجمة شمال إفريقيا، التي ستصبح أول منظمة سياسية مغاربية متماسكة.

الهوامش:

(1)أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992)، ص 23.

(2)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 24.

(3)علي مراد، *الأمير خالد رائد الحركة الوطنية* (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984)، ص 45.

(4)مراد، *الأمير خالد*، ص 46.

(5)مراد، *الأمير خالد*، ص 67.

(6)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 56.

(7)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 57.

(8)مراد، *الأمير خالد*، ص 89.

(9)مراد، *الأمير خالد*، ص 90.

(10)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 78.

(11)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 79.

(12)مراد، *الأمير خالد*، ص 112.

(13)مراد، *الأمير خالد*، ص 113.

(14)عبد الحميد زوزو، *نصف قرن من النضال* (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982)، ص 89.

(15)بن يوسف بن خدة، *الهجرة الجزائرية إلى فرنسا* (الجزائر: دار البعث، 1988)، ص 45.

(16)بن يوسف، *الهجرة الجزائرية*، ص 46.

(17)بن يوسف، *الهجرة الجزائرية*، ص 67.

(18)محمد حربي، *جبهة التحرير الوطني: الأسطورة والواقع* (باريس: منشورات جان نويل، 1980)، ص 34.

(19)حربي، *جبهة التحرير الوطني*، ص 35.

(20)بن يوسف، *الهجرة الجزائرية*، ص 78.

(21)بن يوسف، *الهجرة الجزائرية*، ص 79.

(22)علي مراد، *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية* (الجزائر: دار الهدى، 1988)، ص 56.

(23)مراد، *جمعية العلماء المسلمين*، ص 57.

(24)مراد، *جمعية العلماء المسلمين*، ص 78.

(25)مراد، *جمعية العلماء المسلمين*، ص 79.

(26)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 123.

(27)جرمان عياش، *دراسات في تاريخ المغرب* (الدار البيضاء: دار الثقافة، 1986)، ص 234.

(28)عياش، *دراسات في تاريخ المغرب*، ص 235.

(29)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 145.

(30)مراد، *الأمير خالد*، ص 134.

(31)مراد، *الأمير خالد*، ص 135.

(32)محمد الحبيب الهيلة، *الحركة الوطنية التونسية 1918-1939* (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1985)، ص 89.

(33)الهيلة، *الحركة الوطنية التونسية*، ص 90.

(34)عياش، *دراسات في تاريخ المغرب*، ص 267.

(35)عياش، *دراسات في تاريخ المغرب*، ص 268.

(36)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 112.

المحاضرة الثالثة:

الكفاح المغاربي المشترك بين الحربين العالميتين(1926-1939)

مقدمة:

شكلت الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية (1918-1939) حقبة محورية في تطور الحركة الوطنية المغاربية. بشرت هذه الحقبة بظهور كيانات سياسية معاصرة تتميز بأجندات متميزة وتأكيدات لا لبس فيها للحكم الذاتي (1). وفي هذا الإطار، ظهر البعد المغاربي المتماسك بشكل منهجي من خلال تشكيل مؤسسات وأطر تعاونية وحّدت الناشطين من الدول الثلاث الجزائر وتونس والمغرب (2). ساهمت الحركة الوطنية الجزائرية، ولا سيما حركة الاستقلال بقيادة مسالي الحاج، بشكل كبير في النهوض بهذه المبادرة الموحدة وتحقيقها (3).

أولاً: تأسيس نجمة شمال إفريقيا (1926): المنظمة المغاربية الموحدة الافتتاحية.

1. شروط التأسيس:

في 20 يونيو 1926، تم تأسيس حزب «نجمة شمال إفريقيا» (L'Étoile Nord-Africaine) في باريس من قبل ائتلاف من العمال المهاجرين المغاربيين المقيمين في فرنسا، بدعم من الحزب الشيوعي الفرنسي (4). من بين الشخصيات التأسيسية: الأمير خالد (الجزائر)، مسالي الحاج (جزائري)، الحاج علي عبد القادر (جزائري)، عبد العزيز الثعالبي (تونسي)، علال الفاسي (مغربي)، من بين آخرين (5).

إن تسمية «نجمة شمال إفريقيا» تجسد تطلعات الحزب للوحدة. لقد تجاوزت حدود الأمة الفردية، وشملت جميع مناطق المغرب العربي (6). كان الهدف المفصل هو «الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية والاجتماعية لمسلمي شمال إفريقيا» (7). أخفت هذه الصيغة الشاملة بشكل فعال التطلعات السياسية الأكثر راديكالية للحكم الذاتي والتحرر من السيطرة الاستعمارية الفرنسية (8).

2. البرنامج السياسي لنجمة شمال إفريقيا:

خضع برنامج نجمة شمال إفريقيا لتحول تدريجي من الدعوة الأولية للإصلاحات إلى دعوة واضحة للاستقلال (9). في البداية، تضمن البرنامج مطالب إصلاحية مثل: إرساء حقوق متساوية للجزائريين والمواطنين الفرنسيين، وإلغاء القوانين الاستثنائية (قانون الوالدين)، وضمان حرية التنقل والتعبير والتجمع، وتحسين ظروف العمال المهاجرين (10).

ومع ذلك، مع زيادة الوعي السياسي وتغلغل تأثير أيديولوجيات الاستقلال، انتقل البرنامج نحو أهداف أكثر راديكالية (11). في مؤتمر بروكسل لمكافحة الاستعمار في عام 1927، حددت نجمة شمال إفريقيا برنامجًا يدعو إلى: استقلال الجزائر وتونس والمغرب، وانسحاب القوات الاستعمارية، وإنشاء حكومات وطنية ذات سيادة، وتفكيك نظام الحماية (12).

قام مسالي الحاج، الذي برز كقائد فعال للحزب منذ أواخر عشرينيات القرن الماضي، بصياغة برنامج سياسي نهائي في عام 1933 تضمن: المطالبة بالاستقلال التام للجزائر، وانسحاب جميع القوات العسكرية الفرنسية، وإنشاء برلمان جزائري منتخب، وإلغاء جميع القوانين الاستثنائية، وتحقيق المساواة الكاملة في الحقوق (13).

3. الطابع المغاربي للحزب:

على الرغم من أن الغالبية العظمى من أعضاء نجمة شمال إفريقيا كانت تتألف من الجزائريين (بسبب تفوقهم العددي بين المهاجرين المغاربيين في فرنسا)، إلا أن الحزب حافظ على هويته المغاربية المتكاملة (14). أشارت الأدبيات والتصريحات التي نشرها الحزب باستمرار إلى «شعوب شمال إفريقيا» و «النضال الجماعي» ضد الاستعمار الفرنسي (15).

خصصت نشرة الحزب «Le Réveil Nord-Africain»، التي بدأت في عام 1932، تغطية واسعة لتغطية النضالات الوطنية في تونس والمغرب وتضمنت مقالات كتبها قادة ونشطاء تونسيون ومغربيون (16). بالإضافة إلى ذلك، نظم الحزب تجمعات ومظاهرات مشتركة شارك فيها مسلحون من جميع الدول الثلاث (17).

4. حل الحزب الأول (1929) وإعادة تأسيسه:

ردًا على أنشطتها السياسية المتطرفة ومطالبها الصريحة بالاستقلال، واجهت نجمة شمال إفريقيا حملة قمع مكثفة من السلطات الفرنسية (18). في نوفمبر 1929، أصدرت الحكومة الفرنسية مرسومًا لحل الحزب على أساس أنه «يشكل تهديدًا للأمن العام ويحرض على العنف» (19).

ومع ذلك، أظهر المتمردون المرونة وأعادوا هيكلة منظمتهم على الفور تحت تسميات مختلفة، وتحديداً «مجد شمال إفريقيا» وبعد ذلك إعادة التأسيس الرسمي لـ «نجمة شمال إفريقيا» في عام 1933 (20). برز مسالي الحاج، الذي واجه فترات سجن متعددة، كرئيس كاريزمي للحركة وحصل على شعبية كبيرة بين العمال المغاربيين في فرنسا وبين الجزائريين داخل وطنهم (21).

ثانياً: انخراط الطلاب المغاربيين ومساهمتهم في النضال الجماعي

1. مؤسسة جمعية الطلاب المسلمين في شمال إفريقيا (1927):

وبالتزامن مع الحركة العمالية، ساهم الطلاب المغاربيون المقيمون في فرنسا بشكل كبير في تنمية الوعي المغاربي المشترك (22). في عام 1927، تم تأسيس جمعية الطلاب المسلمين من شمال إفريقيا (رابطة الطلاب المسلمين من شمال إفريقيا) في باريس، وتضم علماء جزائريين وتونسيين ومغربيين مسجلين في الجامعات الفرنسية (23).

هذه الجمعية، مع التركيز بشكل أساسي على المساعي الثقافية والاجتماعية - مثل تنظيم المحاضرات وتوزيع المنشورات وتنشيط التراث المغاربي - قدمت مساهمات كبيرة في تعزيز الوعي الوطني والمغاربي بين النخب الفكرية (24). كثيرًا ما يجتمع الطلاب المغاربيون في الجمعية لمناقشة الاهتمامات السياسية والثقافية المتبادلة ومزامنة ردودهم على السياسات الاستعمارية الفرنسية (25).

ومن أبرز الأفراد المرتبطين بالجمعية أحمد بن بيلا (جزائري) وفرحات عباس (جزائري) وحبيب بورقيبة (تونسي) ومحمد اليزيدي (مغربي) (26). سيظهر هؤلاء الأفراد لاحقًا كقادة بارزين للحركات الوطنية داخل دولهم (27).

2. منشورات الطلاب المغاربيين:

أنتج الطلاب المغاربيون مجموعة متنوعة من المجلات والصحف التي تتميز بمواضيع ثقافية وسياسية، مع إيلاء أهمية خاصة لمنشور «المغرب العربي» (Le Maghreb)، الذي صدر في باريس وعبّر عن أيديولوجيات تقدمية وموحدة (28). تضمن هذا المنشور باستمرار مقالات وتحليلات تتعلق بالتاريخ المشترك للمغرب العربي وضرورة توحيد المساعي في مواجهة القوى الاستعمارية (29).

كما تم نشر دوريات إضافية، مثل «صوت الطالب» و «الطالب المغاربي»، والتي نشرت المفاهيم القومية والتوحيدية بين الجسم الطلابي (30). على الرغم من محدودية التوزيع، لعبت هذه المنشورات دورًا محوريًا في تشكيل الوعي السياسي للنخبة المثقفة (31).

ثالثا: الحركات الوطنية في تونس والمغرب وترابطها مع الجزائر

1. الحزب الدستوري التونسي (1920):

في تونس، تم تأسيس «الحزب الدستوري التونسي» (الحزب الدستوري الحر) في عام 1920 تحت رعاية عبد العزيز الثعالبي (32 عامًا). حافظ هذا الكيان السياسي، الذي يدعو إلى اعتماد دستور تونسي إلى جانب الإصلاحات السياسية والاقتصادية، على التواصل المستمر مع نجمة شمال إفريقيا في فرنسا (33). كان الثعالبي نفسه من بين المؤسسين الأوائل لنجم شمال إفريقيا، وحتى وفاته في عام 1944، ظل مؤيدًا بارزًا لوحدة المغرب العربي (34).

في عام 1934، انفصل فصيل شبابي من الحزب الدستوري، بقيادة الحبيب بورقيبة، وأسس «الحزب الدستوري الجديد»، الذي تبنى مواقف أكثر راديكالية في مطالبه (35). وعلى الرغم من هذا الانقسام، استمر كلا الفصيلين في التمسك بمبدأ التضامن المغاربي (36).

2. حركة كتلة العمل الوطني في المغرب (1934):

خلال الثلاثينيات، شهد المغرب ظهور حركة وطنية منظمة تجسدت في «كتلة العمل الوطني»، التي تأسست عام 1934 وقادها علال الفاسي ومحمد بن حسن الوزاني (37 عامًا). في ديسمبر 1934، قدمت هذه الحركة مذكرة إصلاح إلى السلطات الفرنسية، تدعو إلى الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (38).

حافظ القوميون المغاربة على اتصالات وثيقة مع نظرائهم الجزائريين والتونسيين وشاركوا بنشاط في الاجتماعات والمؤتمرات المغاربية التعاونية (39). واصل علال الفاسي، الذي نُفي إلى الغابون عام 1937، الدعوة إلى وحدة المغرب العربي (40).

الرابع: مؤتمر بروكسل لمكافحة الاستعمار (1927)

في فبراير من عام 1927، انعقد «مؤتمر الشعوب المستعمرة والمضطهدة» في بروكسل (بلجيكا)، بتنسيق من «الرابطة المناهضة للإمبريالية» بدعم من الاتحاد السوفيتي (41). شهد هذا المؤتمر مشاركة ممثلين عن حركات التحرير على مستوى العالم، وشمل مناطق مثل الهند والصين والهند الصينية وأفريقيا وأمريكا اللاتينية (42).

ومثل نجم شمال إفريقيا في المؤتمر وفد مغاربي متماسك ضم مصالي الحاج (من الجزائر)، والحاج علي عبد القادر (من الجزائر)، ومحمد علي الحامي (من تونس)، وغيرهم (43). قدم هذا الوفد المغاربي مذكرة جماعية تدعو إلى سيادة الدول المغاربية الثلاث وانسحاب القوات الاستعمارية (44).

ولّد خطاب مسالي الحاج خلال المؤتمر، والذي طالب فيه بشكل لا لبس فيه باستقلال الجزائر وتونس والمغرب، تداعيات كبيرة في فرنسا ومستعمراتها. وبالتالي، برزت ماسالي كشخصية رمزية في النضال من أجل الاستقلال المغاربي (45). كان هذا المؤتمر بمثابة الإعلان الدولي الافتتاحي لتطلعات المغرب العربي للاستقلال (46).

خامساً: جبهة دفاع شمال إفريقيا (1935-1936)

ومع صعود «الجبهة الشعبية» (ائتلاف يساري) في فرنسا عام 1936، تم تنشيط تطلعات الحركات الوطنية المغاربية لإجراء إصلاحات جوهرية (47). في هذا الوسط، تم تأسيس «جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا» في باريس، وتضم ممثلين عن نجمة شمال إفريقيا، والحزب الدستوري التونسي، وكتلة العمل الوطني المغربي (48).

تم تحديد أهداف الجبهة على النحو التالي: تنسيق النضال المغاربي الجماعي، وممارسة الضغط على حكومة الجبهة الشعبية للوفاء بالإصلاحات التي تعهدت بها، وتدويل قضية المغرب العربي من خلال الدفاع عنها في المنتديات العالمية (49). ومع ذلك، خيبت حكومة الجبهة الشعبية في نهاية المطاف آمال المغاربيين من خلال رفض أي توسلات للاستقلال أو حتى الحكم الذاتي (50).

في يوليو من عام 1936، انعقد «المؤتمر الإسلامي الجزائري» في الجزائر العاصمة، لتوحيد جميع فصائل الحركة الوطنية الجزائرية (المستقلين والإصلاحيين والدمجيين) وطرح مطالب موحدة للحكومة الفرنسية (51). على الرغم من أن هذا المؤتمر كان في الأساس مجلسًا جزائريًا، إلا أنه حصل على دعم من الحركات الوطنية التونسية والمغربية (52).

سادساً: حل نجم شمال إفريقيا الثاني (1937) وتأسيس حزب الشعب الجزائري

نتيجة لنشاطه السياسي الراديكالي ومطالبه الصريحة بالاستقلال، أصدرت الحكومة الفرنسية قرارًا في يناير من عام 1937 بحل نجمة شمال إفريقيا بشكل دائم (53). شكّل هذا القرار نكسة عميقة للمبادرة المغاربية الموحدة؛ ومع ذلك، ظل الناشطون حازمين (54).

في مارس من عام 1937، أسس مسالي الحاج «حزب الشعب الجزائري» (Parti du Peuple Algérien - PPA) خلفًا لنجم شمال إفريقيا (55). ومع ذلك، حافظ هذا الحزب الذي تم تشكيله حديثًا، على الرغم من تصنيفه على أنه «جزائري»، على التزامه بمبدأ التضامن المغاربي. وتضمن برنامجها بنودًا لـ «دعم حركات التحرر في تونس والمغرب» و «السعي لتحقيق الوحدة المغاربية» (56).

حافظ حزب الشعب الجزائري على نشاطه حتى بداية الحرب العالمية الثانية عام 1939. في بداية الحرب، تم حظره، وتم القبض على زعيمه، مسالي الحاج (57).

خاتمة:

تميزت الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين بتطور كبير في النضال الجماعي المغاربي، حيث انتقلت من مجرد الخطابة والتعبيرات الأيديولوجية إلى الكيانات المنظمة والأطر المؤسسية، شكلت نجمة شمال إفريقيا، بقيادة مسالي الحاج، أول منظمة سياسية متماسكة للمغرب العربي ولعبت دورًا محوريًا في التعبير عن مطالب الاستقلال وتعزيز فكرة الوحدة المغاربية، على الرغم من مواجهة القمع الاستعماري الشديد وحل المنظمات الجماعية المغاربية، استمر الوعي بالوحدة بحزم ومن المتوقع أن يشهد انتعاشًا قويًا في الفترة اللاحقة.

الهوامش:

(1)أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992)، ص 189.

(2)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 190.

(3)عبد الحميد زوزو، *نصف قرن من النضال* (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982)، ص 134.

(4)بنيامين ستورا، *مصالي الحاج: رائد الحركة الوطنية الجزائرية* (الجزائر: دار القصبة، 2004)، ص 67.

(5)ستورا، *مصالي الحاج*، ص 68.

(6)مصالي الحاج، *مذكرات مصالي الحاج 1898-1938* (الجزائر: دار الأمة، 1990)، ص 123.

(7)مصالي الحاج، *مذكرات*، ص 124.

(8)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 201.

(9)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 202.

(10)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 145.

(11)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 146.

(12)ستورا، *مصالي الحاج*، ص 89.

(13)مصالي الحاج، *مذكرات*، ص 178.

(14)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 223.

(15)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 224.

(16)ستورا، *مصالي الحاج*، ص 112.

(17)ستورا، *مصالي الحاج*، ص 113.

(18)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 245.

(19)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 246.

(20)مصالي الحاج، *مذكرات*، ص 198.

(21)ستورا، *مصالي الحاج*، ص 134.

(22)محمد حربي، *جبهة التحرير الوطني: الأسطورة والواقع* (باريس: منشورات جان نويل، 1980)، ص 56.

(23)حربي، *جبهة التحرير الوطني*، ص 57.

(24)أحمد بن بلة، *مذكرات أحمد بن بلة* (الجزائر: دار الحكمة، 2006)، ص 45.

(25)بن بلة، *مذكرات*، ص 46.

(26)بن بلة، *مذكرات*، ص 67.

(27)حربي، *جبهة التحرير الوطني*، ص 78.

(28)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 267.

(29)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 268.

(30)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 167.

(31)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 168.

(32)محمد الحبيب الهيلة، *الحركة الوطنية التونسية 1918-1939* (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1985)، ص 112.

(33)الهيلة، *الحركة الوطنية التونسية*، ص 113.

(34)الهيلة، *الحركة الوطنية التونسية*، ص 134.

(35)الحبيب بورقيبة، *خطب الزعيم الحبيب بورقيبة* (تونس: الدار التونسية للنشر، 1975)، ص 23.

(36)بورقيبة، *خطب*، ص 24.

(37)عبد الكريم غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب* (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1987)، ص 145.

(38)غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ص 146.

(39)غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ص 167.

(40)علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1948)، ص 89.

(41)ستورا، *مصالي الحاج*، ص 98.

(42)ستورا، *مصالي الحاج*، ص 99.

(43)مصالي الحاج، *مذكرات*، ص 145.

(44)مصالي الحاج، *مذكرات*، ص 146.

(45)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 289.

(46)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 290.

(47)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 189.

(48)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 190.

(49)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 312.

(50)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 313.

(51)فرحات عباس، *ليل الاستعمار*)الجزائر: منشوراتSNED ، 1976(، ص 123.

(52)عباس، *ليل الاستعمار*، ص 124.

(53)ستورا، *مصالي الحاج*، ص 167.

(54)ستورا، *مصالي الحاج*، ص 168.

(55)مصالي الحاج، *مذكرات*، ص 234.

(56)مصالي الحاج، *مذكرات*، ص 235.

(57)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج2، ص 378.

المحاضرة الرابعة:

محاولات الوحدة المغاربية خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)

أولاً: تأثير اندلاع الحرب على الحركة الوطنية المغاربية

مع بداية الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939، نفذت الإدارة الاستعمارية الفرنسية إجراءات قمعية صارمة تستهدف الحركات القومية داخل المستعمرات المغاربية (1). في الجزائر، تم حظر حزب الشعب الجزائري، بقيادة مسالي الحاج، وتم القبض على زعيمه وسجنه لاحقًا في سجن لامبيز في الجزائر (2). كما تم اعتقال العديد من نشطاء الحزب ومنعهم من المشاركة في أي مساعي سياسية (3).

في تونس والمغرب، نفذت السلطات الفرنسية إجراءات مماثلة، مما أدى إلى اعتقال أو الإقامة الجبرية للعديد من الشخصيات الوطنية (4). تم اعتقال الحبيب بورقيبة في فرنسا، في حين واجه علال الفاسي المنفى إلى الغابون (5). تم تصميم هذه الإجراءات لتقويض الحركة الوطنية المغاربية وضمان استقرار المستعمرات طوال الحرب (6).

وعلى الرغم من هذا القمع، لم تتوقف الحركة الوطنية المغاربية عن عملياتها بل استمرت بطريقة سرية ومحدودة (7). استمرت التفاعلات بين قادة المغرب العربي عبر الاتصالات السرية والوسطاء، حيث تبادلوا وجهات النظر حول موقفهم من الحرب واستراتيجية المقاومة المستقبلية (8).

ثانياً: موقف الحركة الوطنية المغاربية من أطراف الحرب

أظهرت المواقف التي تبنتها مختلف فصائل الحركة الوطنية المغاربية تجاه المتحاربين في الصراع تباعدًا ملحوظًا (9):

تبنى فصيل الاستقلال الراديكالي، الذي يمثله مسالي الحاج وحزب الشعب الجزائري، موقفًا يرفض بشكل لا لبس فيه الدعم الفرنسي في الحرب، ويعبر عن الشعور بأن «عدو عدونا ليس بالضرورة صديقنا» ويؤكد أن فرنسا الاستعمارية تظل الخصم الرئيسي بغض النظر عن انتصارها أو هزيمتها (10). رفض مصالي الحاج، أثناء سجنه، أي مبادرة للمشاركة في المجهود الحربي الفرنسي دون ضمان الاستقلال الحقيقي بعد انتهاء الصراع (11).

في المقابل، اعتمد الفصيل الإصلاحي المعتدل، بقيادة فرحات عباس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، نهجًا أكثر براغماتية، حيث دعا إلى دعم فرنسا ضد النازية تحسبًا لتحقيق إصلاحات سياسية

بعد الحرب (12). كتب فرحات عباس مقالات تحث الجزائريين على الانخراط في المجهود الحربي الفرنسي، مفترضًا أن فرنسا تقاتل من أجل الحرية والديمقراطية (13). وقد تبنّى الشيخ عبد الحميد بن باديس، قبل وفاته في عام 1940، وجهة نظر مماثلة (14).

وفي تونس والمغرب، تباينت المواقف أيضًا، على الرغم من أن الميل السائد كان نحو الحذر والصبر، مع الاستمرار في الاستعداد للاستفادة من أي نتائج للحرب لتأمين مزايا وطنية (15).

ثالثًا: هبوط الحلفاء في شمال إفريقيا (نوفمبر 1942) وتأثيره

في 8 نوفمبر 1942، نفذت القوات الأمريكية والبريطانية عملية الشعلة، حيث أنزلت قواتها على طول سواحل المغرب والجزائر (16). حوّل هذا التوغل شمال إفريقيا إلى مسرح عسكري محوري في سياق الحرب العالمية الثانية (17).

لقد بشر الوجود الأمريكي في شمال إفريقيا بإمكانيات جديدة للحركة الوطنية المغاربية (18). نظر القادة الوطنيون إلى الأمريكيين كحلفاء محتملين في النضال ضد الاستعمار الفرنسي، لا سيما بالنظر إلى موقف الرئيس الأمريكي روزفلت التاريخي المناهض للاستعمار (19).

في يناير 1943، عُقد مؤتمر دولي في الدار البيضاء، حضره الرئيس الأمريكي روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني تشرشل والجنرال الفرنسي ديغول (20). على هامش المؤتمر، اجتمع روزفلت مع السلطان المغربي محمد الخامس، معربًا عن دعمه للاستقلال المغربي بعد الحرب، وبالتالي تعزيز الحركة الوطنية المغربية (21).

كما سعت الحركة الوطنية الجزائرية إلى إقامة اتصال مع الأمريكيين لطلب دعمهم؛ ومع ذلك، اختارت الإدارة الأمريكية تجنب الدخول في صراع مع حليفتها فرنسا (22).

رابعا: إعلان الشعب الجزائري (فبراير 1943) والسياق المغاربي

في 10 فبراير 1943، أصدر فرحات عباس «إعلان الشعب الجزائري»، الذي يشكل وثيقة أساسية في مسار الحركة الوطنية الجزائرية (23). دعا هذا الإعلان، الذي أيده 28 مثقفًا جزائريًا منتخبًا، إلى حق الجزائريين في تقرير المصير وإنشاء دولة جزائرية مدعومة بدستور يضمن المساواة لجميع المواطنين (24).

على الرغم من أن الإعلان كان موجهاً في المقام الأول إلى القضية الجزائرية، فقد تضمن إشارات صريحة إلى المغرب العربي والهوية العربية المرتبطة بالجزائر (25). نص الإعلان على ما يلي: «إن الشعب الجزائري جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية والعربية وله روابط عميقة مع شعوب المغرب العربي» (26).

وحظي الإعلان بدعم كبير من الحركات الوطنية في تونس والمغرب، التي اعتبرته خطوة تقدمية نحو الدعوة النهائية للاستقلال (27). نقل الحبيب بورقيبة، الذي كان آنذاك مسجونًا في فرنسا، رسالة تضامن إلى فرحات عباس، كما فعل قادة الحركة الوطنية المغربية (28).

خامساً: مبادرات سرية لإعادة تنظيم النضال المغاربي الجماعي

على الرغم من الظروف الصعبة التي سادت خلال الحرب، سعى الوطنيون المغاربيون إلى الحفاظ على خطوط الاتصال والتنسيق فيما بينهم (29). وفي القاهرة، التي ظهرت كملاذ للقادة المغاربيين المنفيين، استمرت الاجتماعات والتفاعلات السرية (30).

كانت هناك مبادرة لإنشاء جبهة مغاربية موحدة، كان من المقرر إعلانها على الفور بعد الحرب؛ ومع ذلك، فشلت هذه المبادرة في التجسد رسميًا بسبب ضرورات الحرب والقمع الاستعماري (31). ومع ذلك، وضعت الاتصالات السرية والتنسيق خلال هذه الفترة الأساس لإنشاء مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي مباشرة بعد انتهاء الحرب (32).

سادساً: تجنيد المغاربيين في الجيوش الاستعمارية وتأثيره على الوعي الوحدوي

خلال الحرب العالمية الثانية، جندت فرنسا مئات الآلاف من المغاربيين (من الجزائريين والتونسيين والمغاربة) للقتال على الجبهتين الأوروبية والأفريقية (33). هؤلاء الجنود، الذين قاتلوا بشكل جماعي في مسارح إيطاليا وفرنسا وألمانيا، اكتسبوا وعيًا مشتركًا فيما يتعلق بمصيرهم المتشابك ومعاناتهم الجماعية (34).

داخل الثكنات العسكرية والخنادق القتالية، انخرط الجنود المغاربيون في مناقشات حول ظروف أوطانهم تحت الحكم الاستعماري وتبادلوا وجهات النظر حول ضرورة النضال الموحد في أعقاب الحرب (35). بعض هؤلاء الأفراد ينتمون بشكل سري إلى خلايا تنظيمية وطنية داخل الجيش الفرنسي، ويخططون استراتيجيًا للاستفادة من التدريب العسكري الذي حصلوا عليه للمواجهات المستقبلية ضد الاستعمار (36).

كان من بين الجنود المغاربيين الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية أحمد بن بيلا ومحمد بوضياف وحسين آيت أحمد (من الجزائر)، الذين برزوا لاحقًا كقادة بارزين للثورة الجزائرية (37). لقد أقاموا اتصالات مع نظرائهم التونسيين والمغربيين خلال فترة الحرب وبدأوا خططًا للمقاومة المسلحة المستقبلية (38).

سابعاً: نهاية الحرب وخيبة الأمل: مجازر 8 مايو 1945

مع اقتراب نهاية الحرب في أوروبا، رفعت الحركات الوطنية المغاربية تطلعاتها إلى الاستقلال أو، على الأقل، لإجراء إصلاحات سياسية مهمة كتعويض لمساهماتها في المجهود الحربي ضد النازية (39). ومع ذلك، تم إحباط هذه التطلعات فجأة (40).

في 8 مايو 1945، اليوم الذي احتفل فيه العالم بانتصار الحلفاء على ألمانيا النازية، نظمت مظاهرات سلمية في مدن جزائرية مختلفة (سطيف، قالمة، خراطة، عنابة، قسنطينة) للدعوة إلى الاستقلال (41). ورفع المتظاهرون الأعلام الجزائرية ورددوا شعارات مثل «تحيا الجزائر» و «الاستقلال أو الموت» و «لا صوت فوق صوت الحرية» (42).

ردت الإدارة الاستعمارية الفرنسية بدرجة لا مثيل لها من الوحشية العنيفة (43). بدأت قوات الشرطة والأفراد العسكريون والمجموعات شبه العسكرية الأوروبية بإطلاق النار على المتظاهرين، وشرعت لاحقًا في حملة قمع واسعة النطاق استهدفت القرى والمؤسسات التعليمية استمرت لعدة أسابيع (44). تم تنفيذ عمليات القصف الجوي والقصف المدفعي ضد المراكز السكانية المدنية (45). كانت التكلفة البشرية كارثية: تشير التقديرات إلى أن ما بين 15000 و 45000 جزائري لقوا حتفهم، إلى جانب آلاف آخرين أصيبوا واحتجزوا (46).

أصداء مجازر 8 مايو في جميع أنحاء المغرب العربي:

أثارت فظائع 8 مايو 1945 موجة صدمة عميقة في جميع أنحاء المغرب العربي والعالم العربي الأوسع (47). في تونس، تم تنظيم مظاهرات عامة تضامنًا مع الشعب الجزائري. أصدر الحزب الدستوري الذي تم إنشاؤه حديثًا، بقيادة الحبيب بورقيبة، بيانًا يدين المجازر ويدعو إلى محاسبة السلطات الفرنسية (48). في المغرب، نظم حزب الاستقلال، بقيادة علال الفاسي، مسيرات احتجاجية في الرباط والدار البيضاء وفاس، بينما أصدر أيضًا إعلانات تضامن مع الشعب الجزائري (49).

وفي القاهرة، عقد القادة الوطنيون من المغرب العربي الذين أقاموا هناك اجتماعًا طارئًا وتوصلوا إلى توافق في الآراء بشأن ضرورة تعزيز التنسيق والعمل التعاوني (50). عملت المجازر على تأكيد فهمهم بأن الاستعمار الفرنسي لن يتنازل عن الحكم الذاتي دون إكراه، وبالتالي تأسيس المقاومة المسلحة باعتبارها السبيل الوحيد نحو التحرير (51).

من المنظورين النفسي والسياسي، تمثل أحداث 8 مايو 1945 منعطفًا محوريًا في المسار التاريخي للحركات الوطنية الجزائرية والمغربية (52). اتخذت مجموعة كبيرة من الشباب الجزائريين الذين شهدوا الفظائع أو عانوا من فقدان أقاربهم قرارًا واعًا بالالتزام بحياتهم في الكفاح المسلح ضد الاضطهاد الاستعماري (53). انبثق العديد من القادة والناشطين المشاركين في ثورة نوفمبر 1954 من هذه المجموعة الجيلية، التي تشكل وعيها الثوري بشكل كبير من خلال مجازر 8 مايو 1945 (54).

الهوامش:

(1)أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992)، ص 12.

(2)بنيامين ستورا، *مصالي الحاج: رائد الحركة الوطنية الجزائرية* (الجزائر: دار القصبة، 2004)، ص 198.

(3)ستورا، *مصالي الحاج*، ص 199.

(4)محمد الحبيب الهيلة، *الحركة الوطنية التونسية 1939-1952* (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1987)، ص 34.

(5)علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1948)، ص 123.

(6)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 23.

(7)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 24.

(8)عبد الحميد زوزو، *نصف قرن من النضال* (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982)، ص 178.

(9)ستورا، *مصالي الحاج*، ص 212.

(10)مصالي الحاج، *مذكرات مصالي الحاج 1898-1938* (الجزائر: دار الأمة، 1990)، ص 298.

(11)مصالي الحاج، *مذكرات*، ص 299.

(12)فرحات عباس، *ليل الاستعمار*)الجزائر: منشوراتSNED ، 1976(، ص 189.

(13)عباس، *ليل الاستعمار*، ص 190.

(14)علي مراد، *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية* (الجزائر: دار الهدى، 1988)، ص 212.

(15)الهيلة، *الحركة الوطنية التونسية*، ص 56.

(16) Charles-André Julien, *L'Afrique du Nord en Marche* (Paris: Julliard, 1972), 234.

(17) Julien, *L'Afrique du Nord en Marche*, 235.

(18)محمد حربي، *جبهة التحرير الوطني: الأسطورة والواقع* (باريس: منشورات جان نويل، 1980)، ص 67.

(19)حربي، *جبهة التحرير الوطني*، ص 68.

(20)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 56.

(21)عبد الكريم غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب* (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1987)، ص 278.

(22)غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ص 279.

(23)عباس، *ليل الاستعمار*، ص 212.

(24)عباس، *ليل الاستعمار*، ص 213.

(25)عباس، *ليل الاستعمار*، ص 223.

(26)عباس، *ليل الاستعمار*، ص 224.

(27)الهيلة، *الحركة الوطنية التونسية*، ص 89.

(28)الهيلة، *الحركة الوطنية التونسية*، ص 90.

(29)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 201.

(30)أحمد بن بلة، *مذكرات أحمد بن بلة* (الجزائر: دار الحكمة، 2006)، ص 78.

(31)بن بلة، *مذكرات*، ص 79.

(32)بن بلة، *مذكرات*، ص 89.

(33)محمد حربي، *الثورة الجزائرية: سنوات التأسيس* (الجزائر: دار القصبة، 2012)، ص 45.

(34)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 46.

(35)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 56.

(36)بن بلة، *مذكرات*، ص 98.

(37)بن بلة، *مذكرات*، ص 99.

(38)بن بلة، *مذكرات*، ص 108.

(39)يحي بوعزيز، *مجازر 8 مايو 1945* (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985)، ص 34.

(40)بوعزيز، *مجازر 8 مايو 1945*، ص 35.

(41)بوعزيز، *مجازر 8 مايو 1945*، ص 45.

(42)بوعزيز، *مجازر 8 مايو 1945*، ص 46.

(43)بوعزيز، *مجازر 8 مايو 1945*، ص 56.

(44)بوعزيز، *مجازر 8 مايو 1945*، ص 57.

(45)بوعزيز، *مجازر 8 مايو 1945*، ص 67.

(46)بوعزيز، *مجازر 8 مايو 1945*، ص 78.

(47)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 123.

(48)الحبيب بورقيبة، *خطب الزعيم الحبيب بورقيبة* (تونس: الدار التونسية للنشر، 1975)، ج1، ص 234.

(49)علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، ص 167.

(50)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 223.

(51)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 224.

(52)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 145.

(53)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 78.

(54)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 79.

المحاضرة الخامسة:

تبلور الكفاح المغاربي المشترك بعد الحرب العالمية الثانية(1943-1947)

مقدمة:

شكلت الحرب العالمية الثانية (1939-1945) منعطفًا محوريًا في مسار حركات التحرر داخل الجنوب العالمي، مما أضر بشكل كبير بهيمنة القوى الاستعمارية الأوروبية وسهل ظهور زخم متجدد للاستقلال (1). في منطقة المغرب العربي، سخّرت الحركات القومية ببراعة الديناميكيات الدولية المتغيرة لتضخيم نضالاتها وتعزيز التنسيق التعاوني بين دول المغرب العربي (2). ويتجلى هذا التطور في تشكيل مؤسسات وحدوية حديثة التأسيس وأكثر تنظيمًا وفعالية، ممثلة بشكل بارز في إنشاء «مكتب المغرب العربي»، الذي تم افتتاحه في القاهرة عام 1947 (3).

أولاً: الظروف الدولية والإقليمية بعد الحرب العالمية الثانية

1. تراجع مكانة القوى الاستعمارية:

خرجت فرنسا من الحرب العالمية الثانية في حالة من الضعف العسكري والاقتصادي العميق. تعرضت أراضيها للاحتلال من قبل ألمانيا النازية من عام 1940 إلى عام 1944، مما أدى إلى تضاؤل كبير في وضعها كقوة استعمارية هائلة (4). وقد حفز هذا الضعف الحركات الوطنية داخل المستعمرات الفرنسية، بما في ذلك المغرب العربي، لتكثيف جهودها وتأكيد تطلعاتها للاستقلال (5).

2. صعود الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي:

تقاربت القوتان العظميان الناشئتان، أي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، على الرغم من الاختلافات الأيديولوجية بينهما، على ضرورة تفكيك الاستعمار التقليدي، وإن كان ذلك لدوافع متميزة (6). أيد الاتحاد السوفيتي حركات التحرر الوطني كمناورة استراتيجية لتقويض الكتلة الرأسمالية الغربية (7). على العكس من ذلك، هدفت الولايات المتحدة إلى تفكيك الاحتكار الاستعماري الأوروبي لتسهيل التوسع في أسواق جديدة لسلعها واستثماراتها (8).

3. إنشاء الأمم المتحدة وميثاق الحق في تقرير المصير:

إن إنشاء الأمم المتحدة في عام 1945، مصحوبًا بالنص في ميثاقها على «حق الشعوب في تقرير المصير»، قد منح حركات التحرير شرعية أخلاقية وقانونية (9). حددت الحركات الوطنية المغاربية في هذا

الميثاق أساسًا شرعيًا لمطالبها بالاستقلال وبدأت في الاستفادة من الأمم المتحدة لرفع قضاياها إلى الساحة الدولية (10).

4. نشأة الحركة القومية العربية والدور المحوري لمصر:

في المجال العربي، شهدت حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية ظهور الحركة الوطنية العربية، خاصة مع تشكيل جامعة الدول العربية في القاهرة عام 1945 (11). تطورت مصر، تحت رعاية الملك فاروق ثم جمال عبد الناصر بعد ثورة 1952، إلى نواة لدعم حركات التحرر العربية والأفريقية (12). تحولت القاهرة إلى ملاذ للقادة الوطنيين المغاربيين الذين إما تم نفيهم أو فروا من الاضطهاد الاستعماري (13).

ثانياً: بيان الشعب الجزائري (فبراير 1943)

في 10 فبراير 1943، أصدر فرحات عباس، بالتعاون مع قادة وطنيين آخرين، بيان الشعب الجزائري، وهو وثيقة ذات أهمية تاريخية كبيرة في سياق الحركة الوطنية الجزائرية (14). دعا هذا الإعلان إلى حق الجزائريين في تقرير مصيرهم بشكل مستقل وإنشاء دولة جزائرية تتميز بدستور يضمن المساواة بين جميع السكان (15).

على الرغم من أن الإعلان مثّل في المقام الأول الشواغل الجزائرية، إلا أنه أكد ضرورة التضامن مع سكان المغرب العربي الآخرين في مقاومتهم ضد الاستعمار (16). فرحات عباس، الذي كان معروفًا سابقًا بمواقفه التكاملية، تحول تدريجيًا نحو الدعوة إلى الاستقلال، متأثرًا بالظروف السائدة (17).

ثالثا: مجازر 8 مايو 1945 والرد عليها من المغرب العربي

في 8 مايو 1945، بالتزامن مع الاحتفال العالمي بانتهاء الحرب العالمية الثانية في أوروبا، اندلعت مظاهرات شعبية واسعة النطاق في العديد من المدن الجزائرية، بما في ذلك سطيف وقالمة وخراطة، للمطالبة بالاستقلال (18). ورداً على ذلك، لجأت السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى الوحشية المفرطة، وارتكبت مجازر مروعة أسفرت عن مقتل عشرات الآلاف من الجزائريين، مع تقديرات تتراوح بين 15000 إلى 45000 شهيد (19).

أثارت أعمال العنف الفظيعة هذه صدمة عميقة وسخط في جميع أنحاء منطقة المغرب العربي والعالم العربي الأوسع (20). في كل من تونس والمغرب، تم تنظيم مظاهرات عامة للتعبير عن التضامن مع الشعب الجزائري، في حين أصدرت الأحزاب السياسية الوطنية بيانات إدانة شديدة (21). عزز هذا الحدث

الاعتقاد بأن القوى الاستعمارية الفرنسية لن تتنازل عن الحكم الذاتي عن طيب خاطر، حيث يُنظر إلى التمرد المسلح على أنه الطريق الوحيد نحو التحرير (22).

رابعا: إنشاء المكتب المغاربي في القاهرة (1947)

1. شروط التأسيس:

في سياق تكثيف النضال الوطني المغاربي وما صاحبه من تصعيد للقمع الاستعماري، إلى جانب التأييد المصري لحركات التحرر، تم افتتاح «مكتب المغرب العربي» (23) في القاهرة في يناير 1947. ضم هذا المكتب ممثلين عن الحركات الوطنية للدول المغاربية الثلاث: حزب الشعب الجزائري (مسالي الحاج)، والحزب الدستوري التونسي الجديد (الحبيب بورقيبة)، وحزب الاستقلال المغربي (علال الفاسي) (24).

وكان من بين مؤسسي المكتب وأعضائه البارزين: أحمد بن بيلا، وحسين آيت أحمد، ومحمد بوضياف (من الجزائر)، وصالح بن يوسف (من تونس)، وعبد الخالق الطاريس (من المغرب) (25).

2. الأهداف والبرنامج:

حدد مكتب المغرب العربي أهدافه على النحو التالي:

تسهيل تنسيق النضال الوطني بين البلدان المغاربية الثلاثة ضد التوغلات الاستعمارية لفرنسا وإسبانيا (26). تدويل القضية المغاربية من خلال الارتقاء بها في المحافل العالمية (الأمم المتحدة، جامعة الدول العربية) (27). مواءمة الأجندات السياسية وتطلعات الاستقلال للحركات الوطنية المغاربية (28). إعداد كوادر مغاربية لمساعي ثورية تعاونية (29). حشد الدعم المادي والمعنوي من الدول العربية والإسلامية، وكذلك الكيانات المناهضة للاستعمار في جميع أنحاء العالم (30).

3. الأنشطة والإنجازات:

شارك مكتب المغرب العربي في مجموعة متنوعة من الأنشطة، أبرزها:

المشاركة الإعلامية: نشر المكتب منشورات وإعلانات بلغات متعددة (العربية والفرنسية والإنجليزية) لزيادة الوعي الدولي بقضايا المغرب العربي وسعيه إلى الاستقلال (31). وعلاوة على ذلك، استخدم المكتب منصات إذاعية عربية، ولا سيما «صوت العرب» من القاهرة، لبث برامج سياسية تدعو إلى المقاومة ضد الاستعمار (32).

المشاركة الدبلوماسية: نظم المكتب اجتماعات مع دبلوماسيين ومسؤولين من دول مختلفة لتوضيح الوضع المغاربي وكسب الدعم الدولي (33). وبالإضافة إلى ذلك، مثل المكتب الحركات الوطنية المغاربية في مختلف المؤتمرات الدولية والعربية (34).

المشاركة التنظيمية: سعى المكتب إلى تدريب الكوادر المغاربية في العمليات السياسية والعسكرية على حد سواء مع إنشاء شبكات الدعم اللوجستي للحركات الوطنية (35).

4. الاختلافات الداخلية:

على الرغم من الإنجازات التي حققها مكتب المغرب العربي، فقد واجه خلافات داخلية بين الأحزاب المكونة له، لا سيما فيما يتعلق بالنهج الاستراتيجي للنضال (36). فضل الفصيل الجزائري بقيادة مسالي الحاج تمردًا مسلحًا شاملاً، في حين اتجهت الفصائل التونسية والمغربية نحو المفاوضات والمبادرات الدبلوماسية (37). ومن شأن هذه الاختلافات أن تتفاقم في المراحل اللاحقة (38).

خامساً: دور الأمير عبد الكريم الخطابي في إحياء المشروع المغاربي

في 31 مايو 1947، نجح الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، رئيس الثورة الريفية (1921-1926)، في الهروب من منفاه في جزيرة ريونيون ووصل إلى القاهرة (39). كان استقبال الخطابي في مصر حدثًا مهمًا، حيث كان يُنظر إليه على أنه شعار المقاومة المغاربية ضد الهيمنة الاستعمارية (40).

إن اندماج الخطابي في المكتب المغاربي زود المؤسسة بزخم كبير وتنشيط (41). برز الخطابي، الذي حظي بإشادة واسعة في جميع أنحاء المغرب العربي وامتلك خبرة عسكرية كبيرة، كرمز أساسي للنضال الجماعي المغاربي (42). لقد دافع عن مبدأين رئيسيين: وحدة المغرب العربي وضرورة الكفاح المسلح الشامل والموحد والمستمر بهدف تحرير جميع الدول المغاربية دون تقسيم أو مراحل تدريجية (43).

سادساً: تشكيل لجنة تحرير المغرب العربي (1947)

بناءً على مبادرة من الأمير عبد الكريم الخطابي، خضع «مكتب المغرب العربي» لعملية تحول في سبتمبر 1947، وتطور إلى «لجنة تحرير المغرب العربي» (لجنة تحرير المغرب العربي)، التي تتميز بهيكل أكثر منهجية وسلطة موسعة (44). وبالإجماع، تم تعيين الخطابي رئيسًا للجنة (45).

1. النظام الأساسي للجنة:

خلال الاجتماع الذي عقد في سبتمبر 1947، تمت المصادقة على النظام الأساسي للجنة تحرير المغرب العربي، والذي يتضمن عدة أحكام مهمة (46):

التأكيد على أحقية الأمم المغاربية الثلاث في الاستقلال الكامل والسيادة الكاملة (47). الإذن للأطراف المنضمة إلى اللجنة بالمشاركة في مفاوضات مع الإدارتين الفرنسية والإسبانية، رهناً بإطلاع اللجنة على تقدم المفاوضات في الوقت الحقيقي (48). إعادة التأكيد على أن استقلال قطر عن الدول الثلاث لا يعفي الآخرين من التزامهم بالاستمرار في النضال حتى التحرير الشامل للمغرب العربي بأكمله (49). دعوة لتشكيل جيش تحرير مغاربي موحد لتسهيل المقاومة المسلحة (50).

2. المبادرات والإنجازات:

أظهرت لجنة تحرير المغرب العربي نشاطًا وتنظيمًا أكبر من سابقتها (51). ومن أبرز إنجازاتها:

التنسيق العسكري: بدأت اللجنة الاستعدادات لإنشاء «جيش تحرير المغرب العربي» الموحد وتوفير التدريب للمتطوعين المغاربيين على تكتيكات حرب العصابات (52).

الدعم المالي: نجحت اللجنة في الحصول على مساهمات مالية من الدول العربية والأفراد ذوي التفكير المماثل لدعم الحركات الوطنية المغاربية (53).

التمثيل الدولي: مثلت اللجنة بفعالية قضية المغرب العربي في مختلف المؤتمرات الأفريقية والآسيوية وداخل جامعة الدول العربية (54).

إصدار البيانات: نشرت اللجنة بيانات متعددة موجهة إلى الحكومتين الفرنسية والإسبانية، تدعو إلى الاستقلال الفوري، بالإضافة إلى مخاطبة الأمم المتحدة لطلب التدخل بهدف إنهاء الاستعمار في المغرب العربي (55).

خاتمة:

شهدت حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية تطوراً كبيراً في النضال الجماعي المغاربي، الذي تميز بإنشاء مؤسسات موحدة أكثر تنظيماً وفعالية (مكتب المغرب العربي، لجنة تحرير المغرب العربي) ؛ كان الدور المحوري للأمير عبد الكريم الخطابي أساسياً في إضفاء الطابع الثوري المسلح على هذه المؤسسات وفي تحقيق رؤية الوحدة المغاربية كمسعى سياسي وعسكري شامل، على الرغم من الاختلافات الداخلية

والتحديات التنظيمية، استمر مشروع الوحدة المغاربية في التقدم ويستعد للوصول إلى ذروته في الخمسينيات مع إنشاء جيش تحرير المغرب العربي.

الهوامش:

(1)محمد حربي، *جبهة التحرير الوطني: الأسطورة والواقع* (باريس: منشورات جان نويل، 1980)، ص 89.

(2)حربي، *جبهة التحرير الوطني*، ص 90.

(3)عبد الحميد زوزو، *نصف قرن من النضال* (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982)، ص 234.

(4)أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992)، ص 45.

(5)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 46.

(6)محمد عابد الجابري، *المشروع النهضوي العربي*)بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000)، ص 123.

(7)الجابري، *المشروع النهضوي العربي*، ص 124.

(8)الجابري، *المشروع النهضوي العربي*، ص 125.

(9)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 67.

(10)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 68.

(11)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 245.

(12)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 246.

(13)حربي، *جبهة التحرير الوطني*، ص 112.

(14)فرحات عباس، *ليل الاستعمار*)الجزائر: منشوراتSNED ، 1976(، ص 234.

(15)عباس، *ليل الاستعمار*، ص 235.

(16)عباس، *ليل الاستعمار*، ص 245.

(17)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 89.

(18)يحي بوعزيز، *مجازر 8 مايو 1945* (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985)، ص 67.

(19)بوعزيز، *مجازر 8 مايو 1945* ، ص 68.

(20)بوعزيز، *مجازر 8 مايو 1945* ، ص 89.

(21)محمد الحبيب الهيلة، *الحركة الوطنية التونسية 1939-1952* (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1987)، ص 123.

(22)الهيلة، *الحركة الوطنية التونسية*، ص 124.

(23)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 267.

(24)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 268.

(25)أحمد بن بلة، *مذكرات أحمد بن بلة* (الجزائر: دار الحكمة، 2006)، ص 123.

(26)بن بلة، *مذكرات*، ص 124.

(27)بن بلة، *مذكرات*، ص 125.

(28)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 178.

(29)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 179.

(30)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 289.

(31)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 290.

(32)حربي، *جبهة التحرير الوطني*، ص 145.

(33)حربي، *جبهة التحرير الوطني*، ص 146.

(34)بن بلة، *مذكرات*، ص 156.

(35)بن بلة، *مذكرات*، ص 157.

(36)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 201.

(37)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 202.

(38)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 312.

(39)جرمان عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي* (الدار البيضاء: دار الثقافة، 1988)، ص 234.

(40)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 235.

(41)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 245.

(42)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 246.

(43)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 334.

(44)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 335.

(45)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 234.

(46)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 235.

(47)بن بلة، *مذكرات*، ص 178.

(48)بن بلة، *مذكرات*، ص 179.

(49)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 356.

(50)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 357.

(51)حربي، *جبهة التحرير الوطني*، ص 167.

(52)حربي، *جبهة التحرير الوطني*، ص 168.

(53)بن بلة، *مذكرات*، ص 189.

(54)بن بلة، *مذكرات*، ص 190.

(55)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 267.

المحاضرة السادسة:

دور الحركة الوطنية الجزائرية في الكفاح المغاربي المشترك(1947-1954)

مقدمة:

بعد تشكيل لجنة تحرير المغرب العربي، برئاسة الأمير عبد الكريم الخطابي في عام 1947، انتقل النضال الجماعي المغاربي إلى مرحلة جديدة تميزت بالتحول نحو المساعي الثورية المسلحة (1). وفي هذا الإطار، لعبت الحركة الوطنية الجزائرية، ولا سيما فصيل الاستقلال الراديكالي بقيادة مسالي الحاج، دورًا محوريًا في توجيه المبادرة المغاربية نحو بدائل ثورية (2). شهدت هذه الفترة أيضًا إنشاء المنظمة الخاصة (OS) وجيش تحرير المغرب العربي، وهما كيانان أرسيا الأساس للثورة الجزائرية الكبرى في نوفمبر 1954 (3).

أولاً: حركة الاستقلال وقيادتها للمشروع المغاربي

1. مسالي الحاج وحزب الشعب الجزائري:

شكلت حركة الاستقلال الجزائرية، التي يجسدها حزب الشعب الجزائري بقيادة مسالي الحاج، الجزء الأكثر تفانيًا واستباقيًا في الحركة الوطنية الجزائرية ضمن المبادرة الوحدوية المغاربية (4). بعد ظهور نجمة شمال إفريقيا في عام 1926، لعبت مصالي الحاج إلى جانب النشطاء الجزائريين دورًا رائدًا في الدعوة إلى توحيد النضال المغاربي ضد تعديات الاستعمار الفرنسي (5).

كان لدى مصالي الحاج، الذي يتميز بجاذبيته الجذابة وشعبيته الواسعة، قناعة راسخة بأن الاهتمامات الوطنية لدول المغرب العربي الثلاث مترابطة ومترابطة بشكل لا ينفصم، مؤكدا أن استقلال أي أمة لا يمكن أن يتحقق بالكامل دون تحرير نظيراتها (6). وفي مؤلفاته الخطابية والمكتوبة، أكد باستمرار على حتمية المصير المغاربي الموحد وضرورة العمل الجماعي (7).

أعطى حزب الشعب الجزائري، الذي أعيد تشكيله في أعقاب الحرب العالمية الثانية، الأولوية لتعزيز الوحدة المغاربية كأحد أهدافه الرئيسية (8). تضمن البرنامج السياسي للحزب شروطًا صريحة تتعلق بـ «الجهود المبذولة لتحقيق الاستقلال الكامل للجزائر وتونس والمغرب» وكذلك «إنشاء اتحاد مغاربي بعد التحرير من الهيمنة الاستعمارية» (9).

2. مساهمة الجزائريين في تأسيس هياكل النضال المغاربي:

كان الجزائريون، وخاصة أولئك المنتسبون إلى حزب الشعب الجزائري، من بين المؤسسين الافتتاحيين والمشاركين النشطين في جميع المؤسسات المغاربية التعاونية (10):

نجمة شمال إفريقيا (1926): غالبية مؤسسيها كانوا أعضاء في حركة الاستقلال الجزائرية، بقيادة الأمير خالد ومسالي الحاج (11). تألف المكتب المغاربي (1947) من ممثلين بارزين عن حزب الشعب الجزائري، بما في ذلك أحمد بن بيلا وحسين آيت أحمد ومحمد بوضياف (12). لجنة تحرير المغرب العربي (1947): شكل المندوبون الجزائريون الإطار الأساسي للجنة وقدموا مساهمات كبيرة في تطوير مبادراتها وتنفيذ برامجها (13).

3. إصدار جريدة «المغرب العربي» (1948):

تماشيًا مع تفانيها في القضية المغاربية، بدأت حركة النصر للحريات الديمقراطية (التسمية المعتمدة حديثًا لحزب الشعب الجزائري بعد عام 1946) في نشر دورية بعنوان «المغرب العربي» في عام 1948 (14). وضعت هذه المطبوعة، التي صدرت باللغتين العربية والفرنسية، قضية المغرب العربي في قلب تركيزها التحريري (15).

خصصت الصحيفة بشكل روتيني صفحات واسعة لتغطية النضال الوطني في تونس والمغرب، ونشر التعليقات التحليلية حول الاهتمامات المغاربية المشتركة، ونشر تصريحات لجنة تحرير المغرب العربي (16). علاوة على ذلك، عززت بنشاط فكرة الوحدة المغاربية ودعت إلى تزامن الجهود بين الدول الثلاث (17).

ثانياً: الحركة الإصلاحية ومشاركتها المحدودة

1. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

انخرطت الحركة الإصلاحية الدينية، ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس عام 1940)، في المبادرة المغاربية المشتركة (18).

ركزت الجمعية بشكل أساسي على الإصلاحات الدينية والتعليمية مع مناصرة الهوية العربية الإسلامية للجزائر (19). ومع ذلك، فقد أيّد بشكل أساسي مفهوم التضامن المغاربي، مفترضًا أن شعوب المغرب العربي تشترك في روابط دينية ولغوية وثقافية عميقة (20). مقدمة:

بعد تشكيل لجنة تحرير المغرب العربي، برئاسة الأمير عبد الكريم الخطابي في عام 1947، انتقل النضال الجماعي المغاربي إلى مرحلة جديدة تميزت بالتحول نحو المساعي الثورية المسلحة (1). وفي هذا الإطار، لعبت الحركة الوطنية الجزائرية، ولا سيما فصيل الاستقلال الراديكالي بقيادة مسالي الحاج، دورًا محوريًا في توجيه المبادرة المغاربية نحو بدائل ثورية (2). شهدت هذه الفترة أيضًا إنشاء المنظمة الخاصة (OS) وجيش تحرير المغرب العربي، وهما كيانان أرسيا الأساس للثورة الجزائرية الكبرى في نوفمبر 1954 (3).

أولاً: حركة الاستقلال وقيادتها للمشروع المغاربي

1. مسالي الحاج وحزب الشعب الجزائري:

شكلت حركة الاستقلال الجزائرية، التي يجسدها حزب الشعب الجزائري بقيادة مسالي الحاج، الجزء الأكثر تفانيًا واستباقيًا في الحركة الوطنية الجزائرية ضمن المبادرة الوحدوية المغاربية (4). بعد ظهور نجمة شمال إفريقيا في عام 1926، لعبت مصالي الحاج إلى جانب النشطاء الجزائريين دورًا رائدًا في الدعوة إلى توحيد النضال المغاربي ضد تعديات الاستعمار الفرنسي (5).

كان لدى مصالي الحاج، الذي يتميز بجاذبيته الجذابة وشعبيته الواسعة، قناعة راسخة بأن الاهتمامات الوطنية لدول المغرب العربي الثلاث مترابطة ومترابطة بشكل لا ينفصم، مؤكدا أن استقلال أي أمة لا يمكن أن يتحقق بالكامل دون تحرير نظيراتها (6). وفي مؤلفاته الخطابية والمكتوبة، أكد باستمرار على حتمية المصير المغاربي الموحد وضرورة العمل الجماعي (7).

أعطى حزب الشعب الجزائري، الذي أعيد تشكيله في أعقاب الحرب العالمية الثانية، الأولوية لتعزيز الوحدة المغاربية كأحد أهدافه الرئيسية (8). تضمن البرنامج السياسي للحزب شروطًا صريحة تتعلق بـ «الجهود المبذولة لتحقيق الاستقلال الكامل للجزائر وتونس والمغرب» وكذلك «إنشاء اتحاد مغاربي بعد التحرير من الهيمنة الاستعمارية» (9).

2. مساهمة الجزائريين في تأسيس هياكل النضال المغاربي:

كان الجزائريون، وخاصة أولئك المنتسبون إلى حزب الشعب الجزائري، من بين المؤسسين الافتتاحيين والمشاركين النشطين في جميع المؤسسات المغاربية التعاونية (10):

نجمة شمال إفريقيا (1926): غالبية مؤسسيها كانوا أعضاء في حركة الاستقلال الجزائرية، بقيادة الأمير خالد ومسالي الحاج (11). تألف المكتب المغاربي (1947) من ممثلين بارزين عن حزب الشعب

الجزائري، بما في ذلك أحمد بن بيلا وحسين آيت أحمد ومحمد بوضياف (12). لجنة تحرير المغرب العربي (1947): شكل المندوبون الجزائريون الإطار الأساسي للجنة وقدموا مساهمات كبيرة في تطوير مبادراتها وتنفيذ برامجها (13).

3. إصدار جريدة «المغرب العربي» (1948):

تماشيًا مع تفانيها في القضية المغاربية، بدأت حركة النصر للحريات الديمقراطية (التسمية المعتمدة حديثًا لحزب الشعب الجزائري بعد عام 1946) في نشر دورية بعنوان «المغرب العربي» في عام 1948 (14). وضعت هذه المطبوعة، التي صدرت باللغتين العربية والفرنسية، قضية المغرب العربي في قلب تركيزها التحريري (15).

خصصت الصحيفة بشكل روتيني صفحات واسعة لتغطية النضال الوطني في تونس والمغرب، ونشر التعليقات التحليلية حول الاهتمامات المغاربية المشتركة، ونشر تصريحات لجنة تحرير المغرب العربي (16). علاوة على ذلك، عززت بنشاط فكرة الوحدة المغاربية ودعت إلى تزامن الجهود بين الدول الثلاث (17).

ثانياً: الحركة الإصلاحية ومشاركتها المحدودة

1. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

انخرطت الحركة الإصلاحية الدينية، ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس عام 1940)، في المبادرة المغاربية المشتركة (18).

ركزت الجمعية بشكل أساسي على الإصلاحات الدينية والتعليمية مع مناصرة الهوية العربية الإسلامية للجزائر (19). ومع ذلك، فقد أيّد بشكل أساسي مفهوم التضامن المغاربي، مفترضًا أن شعوب المغرب العربي تشترك في روابط دينية ولغوية وثقافية عميقة (20).

أوضح الشيخ الإبراهيمي، في خطاباته ومقالاته العلمية، مفهوم الوحدة الثقافية في المنطقة المغاربية، ودعا إلى التعاون بين مثقفي الدول المغاربية الثلاث في مجال التعليم العربي الإسلامي (21). حافظت جمعية العلماء على اتصالات قوية مع نظيراتها في تونس (جمعية الزيتونة) والمغرب (الحركة السلفية) (22).

ومع ذلك، امتنعت الرابطة عن المشاركة المباشرة في المؤسسات السياسية المغاربية، مثل مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي، حيث اعتبرت أن ولايتها تقتصر على مجالات المشاركة الدينية والثقافية (23).

2. حركة فرحات عباس (بيان الاتحاد الديمقراطي للجزائريين):

أظهر فرحات عباس، الذي أسس «الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري» (UDMA) في عام 1946، انفتاحًا أكبر على التعاون المغاربي مقارنة بجمعية العلماء (24). شارك عباس في العديد من المناقشات مع القادة الوطنيين من تونس والمغرب، معربًا عن تأييده لمفهوم التضامن المغاربي (25).

ومع ذلك، أظهر عباس، الذي فضل الحل السياسي الدبلوماسي على التمرد المسلح، عدم حماسه للتكتيكات الثورية التي تبنتها لجنة تحرير المغرب العربي بقيادة الخطابي (26). وافترض أنه يجب على كل دولة مغاربية إعطاء الأولوية لمصالحها الوطنية في البداية، مؤكدا أن الوحدة المغاربية الحقيقية لا يمكن أن تتحقق إلا بعد الاستقلال (27).

ثالثًا: الحركة التكاملية وموقفها المعاكس

لم تلعب حركة الاندماج الجزائرية، التي يمثلها بعض الناخبين الفرنسيين ومجموعات النخبة التي تدعو إلى دمج الجزائر في فرنسا مع منح الجزائريين حقوقًا متساوية مع الفرنسيين، أي دور مساهم في المبادرة المغاربية التعاونية (28). وعلى العكس من ذلك، أظهرت هذه الحركة عداءً لفكرة الوحدة المغاربية، واعتبرتها غير متوافقة مع الهدف الشامل المتمثل في الاندماج في فرنسا (29).

أكد أنصار الاندماج أن مصالح الجزائر تكمن في ارتباطها بفرنسا والاستفادة من حضارتها، وليس في إقامة علاقات مع دول المغرب العربي الأخرى التي تعرضت بالمثل للحكم الاستعماري (30). هذا المنظور جعل الحركة الاندماجية معزولة تمامًا عن مشروع الوحدة المغاربية الجماعية (31).

رابعا: المنظمة الخاصة (OS) والإعداد للكفاح المسلح المغاربي

1. إنشاء المنظمة الخاصة (1947):

في الجزء الأخير من عام 1947، أنشأ حزب الشعب الجزائري (الذي أعيدت تسميته بحركة النصر للحريات الديمقراطية) المنظمة الخاصة (Organization Spéciale - OS)، وهي كيان عسكري سري مكلف بالتحضير للمقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي (32).

تولى قيادة هذه المنظمة السرية في البداية محمد بلوزداد (1947-1950) ثم حسين آيت أحمد (1950-1951). تألفت من كادر من الشباب المتحمسين الذين سيظهرون في نهاية المطاف كقادة للثورة الجزائرية: أحمد بن بيلا، محمد بوضياف، رباح بيتات، مصطفى بن بو عيد، محمد خيدر، من بين آخرين (33).

2. البعد المغاربي للمنظمة الخاصة:

على الرغم من أن المنظمة السرية تتكون أساسًا من الجزائريين، إلا أنها نسقت جهودها مع لجنة تحرير المغرب العربي ومقرها القاهرة (34). حافظ قادة المنظمة، ولا سيما أحمد بن بيلا، على اتصالات مستمرة مع الأمير عبد الكريم الخطابي ومع المسلحين التونسيين والمغربيين في القاهرة (35).

وتقوم المنظمة بتنسيق خطط العمليات العسكرية المشتركة بالتعاون مع حركات التحرير في تونس والمغرب. وتلقت مساعدة مالية ولوجستية من لجنة تحرير المغرب العربي (36). بالإضافة إلى ذلك، انضم بعض الأفراد التونسيين والمغربيين إلى صفوف المنظمة السرية وخضعوا للتدريب على حرب العصابات (37).

3. عملية بريد وهران (1949) واكتشاف المنظمة:

في أبريل من عام 1949، نفذت المنظمة السرية مشروعًا مسلحًا جريئًا يتضمن الاستيلاء على المواد البريدية من وهران لتأمين الموارد المالية لدعم تعهداتها (38). في البداية، حققت العملية نجاحًا؛ ومع ذلك، توجت جهود التحقيق اللاحقة من قبل السلطات الاستعمارية بتحديد المنظمة، مما أدى إلى اعتقال العديد من المنتسبين إليها (39).

في مارس 1950، أطلقت السلطات الفرنسية حملة شاملة تستهدف احتجاز الأفراد المرتبطين بالمنظمة السرية، مما أدى إلى حلها الجزئي (40). والجدير بالذكر أن أحمد بن بيلا ومحمد خضر ومحمد بوضياف، من بين آخرين، نجحوا في الهروب من الأسر، وانتقلوا إلى فرنسا ثم إلى القاهرة، حيث استمروا في مساعيهم إلى جانب لجنة تحرير المغرب العربي (41).

على الرغم من هذه الانتكاسة الكبيرة، لم تشهد المنظمة السرية حلاً كاملاً. وبدلاً من ذلك، استمرت بطريقة سرية ومقيدة، وساهمت في إعداد الكادر الضروري للثورة الجزائرية التي ستندلع في عام 1954 (42).

خامسا: أول اتصال رسمي بين الحركات الوطنية المغاربية: زيارة الحبيب بورقيبة إلى الجزائر (1950)

في يوليو 1950، قام الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة، بعد عودته من المنفى، بزيارة مهمة إلى الجزائر، حيث تعامل مع قادة الحركة الوطنية الجزائرية، بما في ذلك مصالي الحاج وفرحات عباس والشيخ الإبراهيمي (43). شكلت هذه الزيارة، التي امتدت لعدة أيام، التفاعل الرسمي الافتتاحي والمباشر بين قادة الحركات الوطنية المغاربية (44).

وعلى مدار الزيارة، تم عقد سلسلة من الاجتماعات المكثفة للتداول حول استراتيجيات تنسيق النضال الجماعي المغاربي (45). عبّر بورقيبة عن إعجابه بالهيكل التنظيمي لحزب الشعب الجزائري وتفاني الجزائريين في القضية المغاربية؛ لكنه عبّر أيضًا عن تحفظاته على الاستراتيجية الثورية المسلحة التي تبناها مصالي الحاج والخطابي (46).

دعا بورقيبة إلى نهج تدريجي، حيث تعطي كل دولة الأولوية لتحقيق استقلالها من خلال تدابير سياسية ودبلوماسية، مع تراجع السعي لتحقيق الوحدة المغاربية إلى مرحلة لاحقة (47). هذا الاختلاف الاستراتيجي بين المنهجية الثورية، التي يمثلها الجزائريون، والنهج القائم على التفاوض، الذي يمثله التونسيون، سيستمر ويتكثف في السنوات القادمة (48).

خاتمة:

شهدت الفترة الممتدة من 1947 إلى 1954 دورًا مهمًا وتقدميًا للحركة الوطنية الجزائرية، وخاصة فصيلها المستقل، في قيادة ودفع مشروع الوحدة المغاربية ؛ إن إنشاء المنظمة الخاصة، والمشاركة النشطة في لجنة تحرير المغرب العربي، ونشر منشور «المغرب العربي» يدل بشكل جماعي على القيادة والمبادرة التي أظهرها الجزائريون في تشكيل أطر الوحدة وتحفيز الأعمال الثورية عبر دول المغرب العربي؛ على الرغم من وجود اختلافات استراتيجية بين المناهج المختلفة، ظل الالتزام بتوحيد الوعي ثابتًا وسيظهر لاحقًا بشكل أكثر فعالية في المرحلة التالية.

الهوامش:

(1)عبد الحميد زوزو، *نصف قرن من النضال* (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982)، ص 389.

(2)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 390.

(3)محمد حربي، *جبهة التحرير الوطني: الأسطورة والواقع* (باريس: منشورات جان نويل، 1980)، ص 189.

(4)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 401.

(5)بنيامين ستورا، *مصالي الحاج: رائد الحركة الوطنية الجزائرية* (الجزائر: دار القصبة، 2004)، ص 234.

(6)ستورا، *مصالي الحاج*، ص 235.

(7)مصالي الحاج، *مذكرات مصالي الحاج 1898-1938* (الجزائر: دار الأمة، 1990)، ص 345.

(8)أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992)، ص 456.

(9)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 457.

(10)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 423.

(11)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 424.

(12)أحمد بن بلة، *مذكرات أحمد بن بلة* (الجزائر: دار الحكمة، 2006)، ص 201.

(13)بن بلة، *مذكرات*، ص 202.

(14)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 478.

(15)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 479.

(16)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 445.

(17)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 446.

(18)علي مراد، *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية* (الجزائر: دار الهدى، 1988)، ص 234.

(19)مراد، *جمعية العلماء المسلمين*، ص 235.

(20)مراد، *جمعية العلماء المسلمين*، ص 245.

(21)محمد البشير الإبراهيمي، *آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي* (الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 1997)، ج3، ص 123.

(22)الإبراهيمي، *آثار*، ج3، ص 124.

(23)مراد، *جمعية العلماء المسلمين*، ص 256.

(24)فرحات عباس، *ليل الاستعمار*)الجزائر: منشوراتSNED ، 1976(، ص 345.

(25)عباس، *ليل الاستعمار*، ص 346.

(26)عباس، *ليل الاستعمار*، ص 356.

(27)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 501.

(28)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 512.

(29)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 513.

(30)حربي، *جبهة التحرير الوطني*، ص 212.

(31)حربي، *جبهة التحرير الوطني*، ص 213.

(32)محمد حربي، *الثورة الجزائرية: سنوات التأسيس* (الجزائر: دار القصبة، 2012)، ص 89.

(33)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 90.

(34)بن بلة، *مذكرات*، ص 223.

(35)بن بلة، *مذكرات*، ص 224.

(36)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 467.

(37)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 468.

(38)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 112.

(39)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 113.

(40)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 534.

(41)بن بلة، *مذكرات*، ص 245.

(42)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 134.

(43)الحبيب بورقيبة، *خطب الزعيم الحبيب بورقيبة* (تونس: الدار التونسية للنشر، 1975)، ج2، ص 89.

(44)بورقيبة، *خطب*، ج2، ص 90.

(45)بورقيبة، *خطب*، ج2، ص 101.

(46)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ص 556.

(47)بورقيبة، *خطب*، ج2، ص 112.

(48)حربي، *جبهة التحرير الوطني*، ص 234.

المحاضرة السابعة:

دور التيار الاستقلالي في بلورة الكفاح الثوري المغاربي المشترك(1948-1954)

مقدمة:

لقد ساهم القائد المحترم محمد بن عبد الكريم الخطابي بشكل كبير في ترتيب أولويات الإستراتيجية الثورية المسلحة ضمن النضال المغاربي الجماعي منذ اعتلائه رئاسة لجنة تحرير المغرب العربي عام 1947 (1). حافظ الخطابي، الذي يمتلك خبرة عسكرية كبيرة اكتسبها خلال قيادته للثورة الريفية من 1921 إلى 1926، على قناعة راسخة بأنه لا يمكن القضاء على الاستعمار إلا بالقوة وأن المقاومة المسلحة تمثل المسار الحصري لتحرير المغرب العربي (2). في هذه المرحلة، لعبت حركة الاستقلال الجزائرية، بقيادة مسالي الحاج، دورًا حاسمًا في تأييد وتنفيذ هذا النموذج الثوري (3).

أولاً: الأمير عبد الكريم الخطابي ومناشداته لشعوب المغرب العربي

1. الدعوة الأولى (1947): رفض مشاريع الإصلاح الاستعماري

بعد الانتقال إلى القاهرة وتولي رئاسة لجنة تحرير المغرب العربي، أطلق الخطابي نداءات قوية إلى شعوب المغرب العربي، متوجهًا إليهم لرفض أي مبادرات إصلاحية مقترحة من قبل السلطات الاستعمارية (4). وفي أحد تصريحاته الشهيرة، قال الخطابي: «إن مبادرات الإصلاح التي تقترحها السلطات الفرنسية لا تحظى إلا بقبول أولئك الذين يقايضون نزاهتهم وضميرهم وشرفهم. ليس لدينا أفراد على استعداد لمقايضة شرفهم باستثناء الساذجين والمأجورين» (5).

كان هذا الخطاب الراديكالي موجهًا استراتيجيًا للفصائل المعتدلة داخل الحركات الوطنية المغاربية التي أظهرت ميولًا للدخول في مفاوضات مع السلطات الاستعمارية (6). أكد الخطابي أن أي خطاب مع المستعمر، يتم إجراؤه دون تحقيق الاستقلال الكامل، يشكل خيانة للقضية الوطنية (7).

2. التأكيد على وحدة المغرب العربي:

في جميع خطاباته وتوسلاته، أكد الخطابي على حتمية وحدة المغرب الثلاثي (الجزائر وتونس والمغرب) ورفض أي محاولات لتفتيت النضال (8). غالبًا ما أعلن: «المغرب العربي كيان لا ينفصل، من حيث الجغرافيا والتاريخ والثقافة. لا يمكن تحرير أي شريحة إلا من خلال تحرير جميع الشرائح الأخرى» (9).

دعا الخطابي إلى كفاح مسلح شامل وموحد ومستمر يشمل جميع دول المغرب العربي دون تجزئة أو تدرج (10). ونفى فكرة حصول منطقة واحدة على الاستقلال مع السماح للآخرين بالتنافس بشكل مستقل. وأكد أن التحرير يجب أن يكون مسعى جماعي وموحد (11).

ثانياً: تشكيل جيش تحرير المغرب العربي

1. الإعلان عن تشكيل الجيش (1948):

في عام 1948، أعلنت لجنة تحرير المغرب العربي، بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي، إنشاء جيش تحرير المغرب العربي (Armée de Libération du Maghreb Arabe) ككيان عسكري موحد مكرس للكفاح المسلح ضد الاستعمار (12).

كان الهدف الأساسي من تشكيل هذا الجيش هو دمج القوات العسكرية المغاربية تحت قيادة واحدة، وتنسيق العمليات العسكرية عبر الدول الثلاث، وتزويد المقاتلين بالتدريب على حرب العصابات والتكتيكات العسكرية المعاصرة (13).

2. التدريب العسكري للمتطوعين المغاربيين:

في القاهرة، وكذلك في مختلف المعسكرات الموجودة في مصر وليبيا والعراق، بدأت لجنة تحرير المغرب العربي تدريب المتطوعين المغاربيين على منهجيات حرب العصابات (14). وكان المشاركون في الغالب من الشباب الجزائريين والتونسيين والمغاربة الذين اجتمعوا في القاهرة للمشاركة في الكفاح المسلح (15).

شمل نظام التدريب التكتيكات العسكرية، وتشغيل الأسلحة المتنوعة (بما في ذلك البنادق والمدافع الرشاشة والمتفجرات والقنابل)، وتقنيات حرب العصابات، واستراتيجيات الكمائن، وأساليب الدعاية والحرب النفسية (16).

شمل الضباط المشرفون على التدريب أفرادًا عسكريين مصريين قدمتهم الحكومة المصرية لدعم الحركة المغاربية، ومقاتلين متمرسين من النزاعات السابقة (بما في ذلك الثورة الريفية وحرب فلسطين عام 1948)، بالإضافة إلى أعضاء المنظمة الجزائرية الخاصة الذين يمتلكون خبرة في العمليات المسلحة السرية (17).

3. تأييد مصري لجيش تحرير المغرب العربي:

قدم جهاز الدولة المصري، لا سيما في أعقاب ثورة يوليو 1952 والصعود اللاحق لجمال عبد الناصر، مساعدة كبيرة لجيش تحرير المغرب العربي (18). شملت جوانب التأييد المصري ما يلي:

التدريب العسكري: إنشاء مرافق التدريب وتوفير الأفراد العسكريين المؤهلين (19). الأسلحة والذخيرة: توريد الأسلحة والذخائر والأجهزة المتفجرة للمقاتلين (20). الدعم المالي: تخصيص موارد نقدية للجنة تحرير المغرب العربي (21). الدعم الإعلامي: استخدام إذاعة «صوت العرب» لمناصرة النضال المغاربي (22). توفير ملجأ: إيواء المقاتلين المغاربيين المضطهدين داخل الأراضي المصرية (23).

لعبت هذه المصادقة المصرية دورًا أساسيًا في تسهيل استمرار وتطوير المبادرة المسلحة المغاربية (24).

ثالثا: الفوارق في استراتيجية النضال: القطري مقابل الوحدوي

وعلى الرغم من الهدف المشترك المتمثل في الاستقلال، نشأت خلافات كبيرة بين الفصائل التي تشكل لجنة تحرير المغرب العربي فيما يتعلق باستراتيجية المقاومة (25).

1. المنهج الاتحادي الثوري (البلاغة والجزائريون):

اعتمد الأمير عبد الكريم الخطابي، إلى جانب شخصيات حركة الاستقلال الجزائرية (مثل مسالي الحاج وأحمد بن بيلا ومحمد بوضياف) نموذجًا موحدًا ثوريًا مبنيًا على المبادئ التالية (26):

الوحدة المغاربية كهدف أساسي: هناك ضرورة للسعي إلى التوحيد السياسي بين دول المغرب العربي بعد التحرير (27). الكفاح المسلح الموحد: يجب دمج المساعي العسكرية في جيش واحد يتم حشده في وقت واحد عبر الدول الثلاث (28). رفض المفاوضات الجزئية: لا يجوز لقطر الدخول في مفاوضات فردية أو الرضوخ لقرارات جزئية في غياب دول أخرى (29). الاستقلال التام أو لا شيء: الرفض التام لأي تنازلات أو ترتيبات انتقالية (30).

2. المقاربة القطرية التدريجية (تونسيون ومغاربة):

تبنى الحبيب بورقيبة، الشخصية الرئيسية للحزب الدستوري التونسي الوليد، إلى جانب علال الفاسي، زعيم حزب الاستقلال المغربي، منهجية قطرية تدريجية ترتكز على المبادئ التالية (31):

أولوية الاستقلال القطري: يجب على كل دولة إعطاء الأولوية لتحقيق استقلالها باستخدام الموارد المتاحة (32). الإستراتيجية المرحلية: يمكن قبول الحلول التدريجية (الاستقلالية والاستقلالية الداخلية) كخطوات أولية نحو الاستقلال الكامل (33). الجمع بين الكفاح المسلح والمفاوضات: يجب استخدام المقاومة المسلحة كوسيلة للضغط، لكن الحل النهائي يكمن في المفاوضات (34). الوحدة المغاربية كهدف لاحق: يُنظر إلى الوحدة كهدف مستقبلي يتم تحقيقه بعد استقلال جميع الأمم (35).

3. تصاعد الخلافات:

وقد اشتدت هذه الفوارق الاستراتيجية بمرور الوقت، وبلغت ذروتها في تصاعد التوترات داخل لجنة تحرير المغرب العربي (36). وكثيراً ما اتهم الخطابي بورقيبة وعلال الفاسي بتجسيد «القطريين الضيقين» و «التخلي عن المشروع الوحدوي» (37). وفي المقابل، انتقد بورقيبة الخطابي لإظهاره «المثالية الطوباوية» و «اللاواقعية» (38).

وعلى الرغم من هذه الاختلافات، استمرت اللجنة في وجودها وواصلت عملياتها؛ إلا أن فعالية التنسيق الفعلي بين الفصائل قد تقلصت إلى حد كبير (39).

رابعا: بداية الاختراق الثوري في المغرب الأقصى (1953)

في 20 أغسطس 1953، نفذت السلطات الاستعمارية الفرنسية عملاً استفزازيًا للغاية من خلال نفي السلطان المغربي محمد الخامس إلى مدغشقر (40). تم خلع السلطان، الذي يقدسه المغاربة كشعار وطني ومؤيد للحركة الوطنية، ونفيه على أساس مؤامرة مزعومة ضد فرنسا (41).

أثار هذا المرسوم سخطًا شعبيًا واسعًا في جميع أنحاء المغرب، مما أدى إلى مظاهرات ومواجهات عنيفة بين الشعب المغربي والسلطات الاستعمارية (42). قررت الحركة الوطنية المغربية، بقيادة حزب الاستقلال، تصعيد الكفاح المسلح (43).

في هذا الوسط، تم تنفيذ العمليات المسلحة المنظمة الأولية من قبل ما سيُعرف لاحقًا باسم «جيش تحرير المغرب الأقصى» (44). بدأ المقاتلون المغاربة، الذين تم تدريبهم داخل معسكرات جيش تحرير المغرب العربي، في شن عمليات كوماندوز تستهدف المصالح الفرنسية داخل المغرب (45).

وقد لاحظت الحركة الوطنية الجزائرية هذه التطورات بتفحص دقيق واعتبرتها نموذجًا جديرًا بالمحاكاة (46). أيدت لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة هذه المبادرة ووسعت دعمها للمقاومة المغربية (47).

خامساً: تداعيات تجربة النضال المغاربي المشترك على الثورة الجزائرية

لقد مارست التجربة المغاربية الجماعية، على الرغم من أوجه القصور والتفاوت، تأثيرًا كبيرًا على مجموعة الثوار الجزائريين المستعدين للتحريض على الثورة في نوفمبر 1954 (48).

1. التدريب العسكري:

خضع العديد من قادة ونشطاء الثورة الجزائرية للتدريب العسكري في معسكرات جيش تحرير المغرب العربي الموجودة في مصر وليبيا (49). لقد اكتسبوا المهارات القتالية والتنظيمية الأساسية التي أثبتت أهميتها الحاسمة للنجاح النهائي للثورة (50).

2. الشبكات التنظيمية:

شكلت الروابط الشخصية والتنظيمية التي أقيمت بين المقاتلين الجزائريين في إطار المنظمة الخاصة ولجنة تحرير المغرب العربي النواة الأولية للجنة الثورية التي كانت تضع استراتيجية لإطلاق الثورة الجزائرية (51). كان كل من أحمد بن بيلا ومحمد بوضياف ومحمد خيدر وحسين آيت أحمد أعضاء محوريين في هذه الكيانات (52).

3. الدعم الخارجي:

سهلت العلاقات التي عززتها لجنة تحرير المغرب العربي مع الحكومة المصرية والدول العربية الأخرى حصول الثورة الجزائرية على الدعم المادي والمعنوي والدبلوماسي (53).

4. الدروس المستفادة:

استمد الثوار الجزائريون رؤى قيمة من الدروس والعثرات التي ميزت التجربة المغاربية المشتركة (54). لقد أدركوا أن الاختلافات الأيديولوجية والشخصية يمكن أن تعرقل الجهود، مما يؤكد ضرورة التماسك الداخلي للنجاح (55). علاوة على ذلك، أقروا بأهمية التنظيم السري والتخطيط الدقيق قبل بدء الكفاح المسلح (56).

خاتمة:

تميزت الفترة بين 1948 و 1954 بتحول نوعي في النضال المغاربي المشترك نحو النموذج الثوري المسلح؛ برز الأمير عبد الكريم الخطابي كشخصية رئيسية في إعطاء الأولوية لهذا النهج، وتعزيز حركة الاستقلال الجزائرية، التي كانت الأكثر تكريسًا لمشروع الوحدة المغاربية ؛ أرسى تأسيس جيش تحرير المغرب العربي، على الرغم من إنجازاته المحدودة على الأرض، الأساس للثورات المسلحة التي اندلعت لاحقًا في المغرب (1953) والجزائر (1954) وتونس (1955) ؛ كانت التجربة المغاربية المشتركة، بمجموعة من النجاحات والإخفاقات، بمثابة مدرسة تأسيسية تخرج منها جيل من الثوار، مهيئين لتشكيل السرد التاريخي للمنطقة في العقود التالية.

الهوامش:

(1)جرمان عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي* (الدار البيضاء: دار الثقافة، 1988)، ص 267.

(2)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 268.

(3)عبد الحميد زوزو، *نصف قرن من النضال* (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982)، ص 501.

(4)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 278.

(5)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 279.

(6)أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992)، ص 23.

(7)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4، ص 24.

(8)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 289.

(9)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 290.

(10)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 512.

(11)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 513.

(12)أحمد بن بلة، *مذكرات أحمد بن بلة* (الجزائر: دار الحكمة، 2006)، ص 267.

(13)بن بلة، *مذكرات*، ص 268.

(14)بن بلة، *مذكرات*، ص 278.

(15)بن بلة، *مذكرات*، ص 279.

(16)محمد حربي، *الثورة الجزائرية: سنوات التأسيس* (الجزائر: دار القصبة، 2012)، ص 156.

(17)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 157.

(18)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4، ص 45.

(19)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4، ص 46.

(20)بن بلة، *مذكرات*، ص 289.

(21)بن بلة، *مذكرات*، ص 290.

(22)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 534.

(23)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 535.

(24)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4، ص 67.

(25)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4، ص 78.

(26)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 301.

(27)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 302.

(28)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 556.

(29)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 557.

(30)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 312.

(31)الحبيب بورقيبة، *خطب الزعيم الحبيب بورقيبة* (تونس: الدار التونسية للنشر، 1975)، ج3، ص 123.

(32)بورقيبة، *خطب*، ج3، ص 124.

(33)بورقيبة، *خطب*، ص 134.

(34)علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1948)، ص 234.

(35)الفاسي، *الحركات الاستقلالية*، ص 235.

(36)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4، ص 89.

(37)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 323.

(38)بورقيبة، *خطب*، ج3، ص 145.

(39)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4، ص 98.

(40)عبد الكريم غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب* (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1987)، ص 401.

(41)غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ص 402.

(42)غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ص 412.

(43)غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ص 413.

(44)الفاسي، *الحركات الاستقلالية*، ص 267.

(45)الفاسي، *الحركات الاستقلالية*، ص 268.

(46)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 578.

(47)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 579.

(48)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 178.

(49)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 179.

(50)بن بلة، *مذكرات*، ص 312.

(51)بن بلة، *مذكرات*، ص 313.

(52)بن بلة، *مذكرات*، ص 323.

(53)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4، ص 112.

(54)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 189.

(55)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 190.

(56)بن بلة، *مذكرات*، ص 334.

المحاضرة الثامنة:

الكفاح المغاربي المشترك مع بداية الثورة الجزائرية(1956-1954)

مقدمة:

بعد بداية ثورة التحرير الجزائرية في 1 نوفمبر 1954، انتقل النضال المغاربي الجماعي إلى مرحلة محورية وتحويلية (1). جددت الثورة الجزائرية، بتحريض من منظمة سرية تعرف نفسها باسم «جبهة التحرير الوطني» (FLN)، روح المشروع الموحد المغاربي وكشفت عن آفاق جديدة للتعاون العسكري والسياسي بين حركات التحرير داخل المنطقة (2). وفي هذا الوسط، استمرت التفاعلات والتجمعات بين قادة المغرب العربي تحت رعاية مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي. تدخلت السلطات المصرية لتعزيز الوحدة المغاربية ودعم الكفاح المسلح (3).

أولاً: السعي لمزامنة الثورة الجزائرية مع الحركات الوطنية المغاربية

1. موقف لجنة تحرير المغرب العربي من الثورة الجزائرية:

عند اندلاع الثورة الجزائرية في نوفمبر 1954، ظلت لجنة تحرير المغرب العربي، التي تقع في القاهرة ويرأسها الأمير عبد الكريم الخطابي، تعمل وتشارك (4). تلقت اللجنة خبر انطلاق الثورة بحماس عميق، حيث نظرت إليها على أنها تحقيق لأهدافها في تحفيز الكفاح المسلح الموحد في المغرب العربي (5).

في 5 نوفمبر 1954، أي بعد أربعة أيام فقط من بداية الثورة، أصدرت لجنة تحرير المغرب العربي بيانًا بالغ الأهمية يعبر عن الدعم القاطع للثورة الجزائرية ويصنفها على أنها «معركة مغاربية مشتركة» (6). وجاء في الإعلان ما يلي: «تجسد الثورة في الجزائر ثورة المغرب العربي بأكمله. إن جيش تحرير المغرب العربي يحشد كل موارده في خدمة الثورة الجزائرية» (7).

أرسل الأمير الخطابي برقيات تهنئة إلى قادة الثورة وأعرب عن استعداده لتقديم مساعدة عسكرية وسياسية ولوجستية شاملة (8). كما بادرت اللجنة على الفور إلى تكثيف مساعيها الدبلوماسية الرامية إلى تدويل القضية الجزائرية وتأمين الدعم العربي والدولي للثورة (9).

2. الوفد الجزائري الخارجي في القاهرة:

في أعقاب اندلاع الثورة، تم تشكيل الوفد الأجنبي لجبهة التحرير الوطني الجزائرية في القاهرة، بقيادة شخصيات بارزة مثل أحمد بن بيلا، ومحمد خضر، ومحمد بوضياف، وحسين آيت أحمد، ورابح

بيتات (10). هذا الوفد، الذي يمثل الثورة الجزائرية على الساحة الدولية، عمل بتعاون وثيق مع لجنة تحرير المغرب العربي (11).

تولى الوفد الأجنبي مسؤوليات حاسمة للثورة: تسهيل الدعم المادي (بما في ذلك الأسلحة والموارد المالية والذخيرة)، وتوفير التمثيل الدبلوماسي في كل من الدول العربية والأجنبية، ونشر المعلومات المتعلقة بالثورة من خلال وسائل الإعلام العربية والدولية، وتدريب المتطوعين في المعسكرات المصرية والليبية، وتنسيق الجهود مع الحركات الوطنية الأخرى داخل المغرب العربي (12).

3. الدعم المصري للثورة الجزائرية:

قدمت الحكومة المصرية، بقيادة جمال عبد الناصر، دعمًا كبيرًا ومحوريًا للثورة الجزائرية منذ بدايتها (13). شمل طيف الدعم المصري:

توفير الأسلحة والذخيرة: تزويد الثورة بكميات كبيرة من الأسلحة والذخائر عبر حدود ليبيا وتونس (14). التدريب العسكري: استيعاب الآلاف من المجاهدين الجزائريين في مرافق التدريب في مصر وإرشادهم في تكتيكات حرب العصابات (15). المساعدة المالية: تقديم دعم مالي كبير لجبهة التحرير الوطني (16). المناصرة الإعلامية: تخصيص إذاعة «صوت العرب» لنقل البرامج اليومية التي ناصرت الثورة وسلطت الضوء على الممارسات القمعية للاستعمار الفرنسي (17). المناصرة الدبلوماسية: الدفاع بقوة عن القضية الجزائرية داخل الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية والمحافل الدولية المختلفة (18).

شكلت هذه المساعدة المصرية محددًا حاسمًا في صمود الثورة الجزائرية واستمرارها، على الرغم من القمع الشديد الذي مارسته السلطات الفرنسية (19).

ثانياً: الخطاب حول المقاربة الاستراتيجية للنضال: القطري مقابل الوحدوي

في أعقاب الثورة الجزائرية، تلى ذلك مداولات ونزاعات معززة داخل لجنة تحرير المغرب العربي بشأن التوجه الاستراتيجي للنضال المغاربي (20).

1. الموقف التونسي (بورقيبة):

أعرب الحبيب بورقيبة، الشخصية البارزة في الحزب الدستوري التونسي الذي تأسس حديثًا، عن دعمه للثورة الجزائرية على المستوى النظري، لكنه دعا إلى استراتيجية قطرية تدريجية (21). افترض بورقيبة أن:

يجب على تونس إعطاء الأولوية لقضيتها الوطنية: الهدف الأول هو تأمين الاستقلال التونسي من خلال المفاوضات الدبلوماسية، وبالتالي تقديم الدعم للثورة الجزائرية (22). الترتيبات المؤقتة مسموح بها: يمكن الاعتراف بمفاهيم مثل «الاستقلال الداخلي» أو «الحكم الذاتي» كمراحل انتقالية تؤدي إلى الاستقلال الكامل (23). تحل المفاوضات محل الحرب:

النزاع المسلح مرهق ماليًا وطويل الأمد، في حين أن الحل التفاوضي سريع وأقل تكلفة (24).

وقد أثار هذا المنظور انتقادات شديدة من الأمير الخطابي والوفد الجزائري، الذي عاتب بورقيبة على «التخلي عن المشروع الموحد المغاربي» وإظهار «الأنانية القطرية» (25).

2. الموقف المغربي (علال الفاسي):

تبنى علال الفاسي، زعيم حزب الاستقلال المغربي، موقفًا توفيقيًا دمج المنظور الوحدوي الثوري ونهج التفاوض القطري (26). أيّد الفاسي مبدأ الوحدة المغاربية وأيّد الثورة الجزائرية، مع التأكيد في الوقت نفسه على أن استقلال المغرب يجب أن يكون له الأسبقية (27).

منذ عام 1953، بدأ حزب الاستقلال المغربي كفاحًا مسلحًا مكثفًا ضد الحكم الاستعماري الفرنسي والإسباني، خاصة بعد نفي السلطان محمد الخامس (28 عامًا). ومع ذلك، فضل الفاسي استراتيجية تجمع بين المقاومة المسلحة والضغط الدبلوماسي لتحقيق الاستقلال (29).

3. الموقف الجزائري (الثورة والبلاغة):

التزم الوفد الأجنبي لجبهة التحرير الوطني الجزائرية، إلى جانب الأمير عبد الكريم الخطابي، بثبات بالإطار الوحدوي الثوري (30). وزعموا أن:

تشكل الثورة الجزائرية كفاحًا مغاربيًا جماعيًا: تونس والمغرب ملزمتان بتقديم دعمهما بكل الوسائل المتاحة (31). رفض أي مفاوضات مجزأة: لا ينبغي لأي كيان قطري المشاركة في مفاوضات فردية وتأمين

الاستقلال قبل الدول الأخرى (32). يجب أن تسبق الوحدة المغاربية الاستقلال: يجب أن يتم تأسيس الوحدة السياسية بين الدول المغاربية أثناء النضال وليس بعده (33).

وقد أدى هذا التوطيد الراسخ للموقف إلى حدوث توترات كبيرة داخل لجنة تحرير المغرب العربي (34).

ثالثا: دعم المغرب وتونس للثورة الجزائرية رغم الفوارق

على الرغم من الاختلافات الاستراتيجية، قدمت الحركات الوطنية في تونس والمغرب دعمًا كبيرًا وكبيرًا للثورة الجزائرية (35).

1. الدعم الشعبي والمادي:

في كل من تونس والمغرب، تم إطلاق حملات عامة واسعة لجمع التبرعات لحشد الموارد للثورة الجزائرية (36). شهدت المساجد والمؤسسات التعليمية والمنظمات المجتمعية والأسواق جهودًا حثيثة لجمع المساهمات المادية والمالية (37). قامت الأحزاب الوطنية (الحزب الدستوري الجديد في تونس وحزب الاستقلال في المغرب) بتنسيق هذه المبادرات والإشراف على توزيع التبرعات لجبهة التحرير الوطني (38).

2. المساعدة اللوجستية:

كانت حدود تونس والمغرب مع الجزائر بمثابة قنوات حاسمة لنقل الأسلحة والذخيرة والمقاتلين إلى الجزائر (39). سهلت الحركات الوطنية في تونس والمغرب هذا العبور على الرغم من المراقبة الفرنسية الصارمة (40).

بالإضافة إلى ذلك، تم استخدام الأراضي التونسية والمغربية كقواعد لوجستية لجيش التحرير الوطني الجزائري، حيث تم إنشاء مرافق التدريب والمستشفيات الميدانية ومستودعات الذخيرة (41).

3. اللجوء السياسي:

قامت تونس والمغرب بإيواء آلاف اللاجئين الجزائريين الهاربين من الاضطهاد الفرنسي (42). كما اكتشف القادة والنشطاء الجزائريون المضطهدون ملاذًا داخل حدود تونس والمغرب (43).

رابعا: الحكم الذاتي للمغرب وتونس (مارس 1956) وتداعياته على المبادرة المغاربية

في 2 مارس 1956، حصل المغرب على السيادة من الحكم الاستعماري الفرنسي، وبلغت ذروتها في استعادة السلطان محمد الخامس إلى منصبه الملكي (44). في وقت لاحق، في 20 مارس 1956، حققت تونس استقلالها، مما أدى إلى إنشاء حكومة وطنية تحت قيادة الحبيب بورقيبة (45).

شكّل ظهور المغرب المستقل وتونس نقطة انعطاف مهمة في المسار التاريخي للنضال المغاربي الجماعي. بينما كشفت النقاب عن آفاق جديدة، قدمت في نفس الوقت تحديات جديدة (46).

1. ردود فعل متباينة:

احتضنت الثورة الجزائرية وجهة التحرير الوطني استقلال المغرب وتونس، معربين في نفس الوقت عن الرغبة في أن تستمر الدولتان في دعم الثورة الجزائرية حتى ذروتها (47). وجاء في بيان صادر عن جبهة التحرير ما يلي: «إن استقلال إخواننا في تونس والمغرب يعزز عزمنا ومثابرتنا. لدينا ثقة بأنهم سيبقون صامدين معنا حتى تحرير كامل التراب الوطني الجزائري» (48).

اعتمد الأمير عبد الكريم الخطابي منظورًا محافظًا ونقديًا (49). وأصدر بياناً تحذيرياً أكد فيه ما يلي: «لقد حذرت باستمرار من خطر المفاوضات الأحادية الجانب. إن استقلال أمة واحدة يقوض مكانة الآخرين. كان يجب علينا الانخراط في نضال جماعي وتحقيق الاستقلال في وقت واحد» (50). وبّخ الخطابي بورقيبة والإدارة التونسية على «التخلي عن مشروع الوحدة المغاربية» (51).

احتفلت شعوب المغرب العربي باستقلال المغرب وتونس، واعتبرتها نذيرًا بالتحرير الوشيك للجزائر (52). وفي الجزائر، خرجت مظاهرات مبتهجة على الرغم من الإجراءات القمعية التي فرضتها السلطات الفرنسية. ونُقشت شعارات على الجدران تقول: «يحيا المغرب العربي المحرر، ستنضم الجزائر قريباً» (53).

2. طرق جديدة للدعم:

لقد أوجد استقلال المغرب وتونس مسارات جديدة لتعزيز الثورة الجزائرية (54):

المصادقة الرسمية: أصبحت حكومتا تونس والمغرب الآن في وضع يسمح لهما بتقديم الدعم الرسمي والعام للثورة الجزائرية دون الخوف من التداعيات الاستعمارية (55). القواعد اللوجستية: برزت تونس والمغرب كقواعد لوجستية آمنة لجيش التحرير الوطني، مما سهل إنشاء معسكرات التدريب والمرافق الطبية ومراكز القيادة (56). المناصرة الدبلوماسية: أصبحت الدولتان الجديدتان ذات السيادة الآن

قادرتين على الدفاع رسميًا عن القضية الجزائرية في الساحات الدولية (57). الضغط على فرنسا: فرض الحكم الذاتي لتونس والمغرب ضغوطًا سياسية ونفسية على فرنسا، مما يدل على تراجع الاستعمار (58).

3. تحديات جديدة:

ومع ذلك، أدى استقلال المغرب وتونس في نفس الوقت إلى ظهور تحديات جديدة (59):

التوترات مع فرنسا: مارست فرنسا ضغوطًا على تونس والمغرب للحد من دعمهما للثورة الجزائرية، مهددة بفرض عقوبات اقتصادية (60). الضرورات الوطنية: انشغلت إدارتا تونس والمغرب ببناء الدولة ومعالجة المعضلات الداخلية، مما قلل من تركيزها على القضية الجزائرية (61). الاختلافات الأيديولوجية: ظهرت تفاوتات بين قيادة جبهة التحرير الوطني وبين الحكومتين التونسية والمغربية فيما يتعلق بالمقاربة الاستراتيجية للنضال والتوجهات السياسية (62).

خامساً: مؤتمر الصومام (أغسطس 1956) والبعد المغاربي

في 20 أغسطس من عام 1956، عقدت جبهة التحرير الوطني الجزائرية مؤتمر الصومام في منطقة القبائل، بمناسبة المؤتمر الوطني الافتتاحي للثورة منذ بدايتها (63). انخرط المؤتمر في دراسة شاملة للظروف العسكرية والسياسية والتنظيمية المحيطة بالثورة وتوصل إلى قرارات محورية (64).

ومن بين القرارات الهامة التي تم اعتمادها خلال المؤتمر التأكيد على البعد المغاربي المتأصل في الثورة الجزائرية (65). نصت القرارات على ما يلي: «تشكل الثورة الجزائرية جزءًا لا يتجزأ من النضال التحرري المغاربي. نحن نعتبر شعوب المغرب العربي كيانًا فريدًا مترابطًا من خلال التاريخ والجغرافيا والحضارة المشتركة. نطمح إلى تحقيق الوحدة المغاربية بعد التحرير» (66).

وعلاوة على ذلك، دعا المؤتمر إلى تعزيز التنسيق مع حكومتي تونس والمغرب، وكذلك لتكثيف المساعي الدبلوماسية الرامية إلى تأمين الدعم العربي والدولي (67).

خاتمة:

تميزت الفترة بين 1954 و1956 بالتقدم الحاسم في النضال الجماعي المغاربي؛ أعاد اندلاع الثورة الجزائرية إحياء روح المشروع الوحدوي المغاربي. كشف تحقيق الاستقلال من قبل تونس والمغرب عن آفاق جديدة للدعم الرسمي والمؤسسي للثورة ؛ على الرغم من الاختلافات الاستراتيجية بين النموذج الوحدوي

الثوري والإطار القطري التقدمي، استمر التضامن المغاربي بشكل فعال، مما عزز بشكل كبير مرونة الثورة الجزائرية.

الهوامش:

(1)محمد حربي، *الثورة الجزائرية: سنوات التأسيس* (الجزائر: دار القصبة، 2012)، ص 201.

(2)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 202.

(3)عبد الحميد زوزو، *نصف قرن من النضال* (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982)، ص 612.

(4)جرمان عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي* (الدار البيضاء: دار الثقافة، 1988)، ص 334.

(5)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 335.

(6)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 623.

(7)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 624.

(8)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 345.

(9)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 346.

(10)أحمد بن بلة، *مذكرات أحمد بن بلة* (الجزائر: دار الحكمة، 2006)، ص 345.

(11)بن بلة، *مذكرات*، ص 346.

(12)بن بلة، *مذكرات*، ص 356.

(13)أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992)، ص 178.

(14)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4، ص 179.

(15)بن بلة، *مذكرات*، ص 367.

(16)بن بلة، *مذكرات*، ص 368.

(17)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 645.

(18)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 646.

(19)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4، ص 189.

(20)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 223.

(21)الحبيب بورقيبة، *خطب الزعيم الحبيب بورقيبة* (تونس: الدار التونسية للنشر، 1975)، ج4، ص 56.

(22)بورقيبة، *خطب*، ج4، ص 57.

(23)بورقيبة، *خطب*، ج4، ص 67.

(24)بورقيبة، *خطب*، ج4، ص 68.

(25)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 356.

(26)علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1948)، ص 289.

(27)الفاسي، *الحركات الاستقلالية*، ص 290.

(28)عبد الكريم غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب* (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1987)، ص 456.

(29)غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ص 457.

(30)بن بلة، *مذكرات*، ص 378.

(31)بن بلة، *مذكرات*، ص 379.

(32)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 367.

(33)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 368.

(34)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 234.

(35)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4، ص 201.

(36)محمد الحبيب الهيلة، *الحركة الوطنية التونسية 1952-1956* (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1989)، ص 145.

(37)الهيلة، *الحركة الوطنية التونسية*، ص 146.

(38)غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ص 478.

(39)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 245.

(40)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 246.

(41)بن بلة، *مذكرات*، ص 389.

(42)الهيلة، *الحركة الوطنية التونسية*، ص 167.

(43)غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ص 489.

(44)غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ص 501.

(45)بورقيبة، *خطب*، ج4، ص 89.

(46)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 667.

(47)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 668.

(48)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 669.

(49)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 378.

(50)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 379.

(51)عياش، *محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ص 389.

(52)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4، ص 223.

(53)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4، ص 224.

(54)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 267.

(55)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 268.

(56)بن بلة، *مذكرات*، ص 401.

(57)بن بلة، *مذكرات*، ص 402.

(58)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 689.

(59)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 278.

(60)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 279.

(61)بورقيبة، *خطب*، ج4، ص 112.

(62)سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج4، ص 245.

(63)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 289.

(64)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 290.

(65)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 701.

(66)زوزو، *نصف قرن من النضال*، ص 702.

(67)حربي، *الثورة الجزائرية*، ص 301.

الخاتمة العامة

فكرة الوحدوية المغاربية ليست طارئة أو مفتعلة، بل هي نتاج حتمية جغرافية وتاريخية وحضارية. الشعوب المغاربية تشترك في اللغة العربية، والدين الإسلامي، والتاريخ المشترك، والثقافة المتقاربة، والجغرافيا المتصلة. هذه العوامل تجعل من الوحدة المغاربية ضرورة استراتيجية وليست مجرد شعار سياسي.

أثبتت الدراسة أن الحركة الوطنية الجزائرية، وخاصة تيارها الاستقلالي بقيادة مصالي الحاج، كانت الأكثر التزاماً والأكثر نشاطاً في المشروع الوحدوي المغاربي. من تأسيس نجم شمال إفريقيا (1926) إلى دعم لجنة تحرير المغرب العربي، فكانت الجزائر قاطرة المشروع الوحدوي في مرحلة الكفاح ضد الاستعمار.

من جهة أخرى ورغم فشل النخب السياسية في تحقيق الوحدة المؤسساتية، إلا أن التضامن الشعبي بين البلدان المغاربية كان وظل قوياً؛ مع بداية الاحتلال الأجنبي في كل قطر ظهر ذلك جليا بداية من المقاومات الشعبية المسلحة مرورا بفترات الحركة الوطنية السياسية، ثم دعم الشعبين التونسي والمغربي للثورة الجزائرية، وهذا التعاطف الجماهيري العفوي والمنظم مع القضايا المغاربية، يثبت أن الشعوب أكثر وحدة من التيارات السياسية والمنظمات والأنظمة.

للأسف شابت المحاولات الوحدوية النضالية المغاربية عدة عوائق وتحديات، كان في مقدمتها النزعات والمصالح القطرية التي طغت على التوجه الوحدوي خاصة عندما ظهرت الاغراءات الاستعمارية لحل النزاعات مع الأقطار، وتواصل تغلب النزعة القطرية لفترة ما بعد الاستقلال ؛ حيث أصبح كل نظام سياسي منشغلا ببناء دولته القطرية، وتراجعت الأولوية الوحدوية المغاربية لتقدم المصالح الوطنية الضيقة؛ أكثر من ذلك فقد تأزمت العلاقات بين بعض الأقطار المغاربية في شكل نزاعات، في مقدمتها أزمة الصحراء الغربية والنزاعات الحدودية بين الجزائر والمغرب؛ وهذا ما شكل العائق الأكبر أمام تحقيق الوحدة. فهذه النزاعات حولت الدول الشقيقة إلى خصوم وجمّدت كل مبادرات التكامل.

في النهاية يجب القول أنه لا يمكن بناء وحدة حقيقية دون حل النزاعات العالقة (الصحراء الغربية، الحدود، الخلافات السياسية). الوحدة تتطلب إرادة صادقة وتنازلات متبادلة.

ويمكن أخذ التجربة الأوروبية كمثال ناجح والتي أثبتت أن التكامل الاقتصادي (السوق المشتركة، حرية التنقل، المشاريع المشتركة) يجب أن يسبق الوحدة السياسية. بناء مصالح اقتصادية مشتركة يخلق ضغطاً شعبياً باتجاه الوحدة.

كما الوحدة المغاربية تتطلب استقلالاً حقيقياً عن القوى الخارجية، وبناء اقتصادات مستقلة ومتكاملة.

رغم كل الإخفاقات، تبقى الوحدة المغاربية ضرورة استراتيجية أكثر إلحاحاً اليوم من أي وقت مضى. التحديات الراهنة (الإرهاب، الهجرة غير الشرعية، التغير المناخي، المنافسة الاقتصادية العالمية، التهديدات الأمنية (لا يمكن مواجهتها منفردين.

المشروع الوحدوي المغاربي ليس مشروعاً فاشلاً، بل هو مشروع مؤجل .الفكرة ظلت حية طيلة قرن من الزمن، ولن تموت. الأجيال المتعاقبة من المناضلين والمثقفين والسياسيين المغاربيين حملوا هذه الفكرة وناضلوا من أجلها، وسيواصل الأجيال القادمة هذا المسار.

الدرس الأساسي من هذه التجربة التاريخية هو أن الوحدة ليست حدثاً سحرياً يحدث بين ليلة وضحاها، بل هي عملية تاريخية طويلة تتطلب صبراً، وإرادة، وتضحيات. الشعوب المغاربية، التي صمدت أمام الاستعمار وحققت الاستقلال بعد نضال مرير، قادرة على تحقيق الوحدة إذا توفرت الإرادة السياسية الحقيقية.

المغرب العربي الموحد ليس حلماً طوباوياً، بل هو ضرورة تاريخية وخيار استراتيجي لا بديل عنه لمواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين. والله من وراء القصد.

قائمة

المصادروالمراجع

أولاً: المصادر الأولية

.1الوثائق الرسمية:

- اتحاد المغرب العربي، *معاهدة إنشاء اتحاد المغرب العربي*، الرباط: الأمانة العامة، 1989.
- اتحاد المغرب العربي، *وثائق القمم المغاربية*، الرباط: الأمانة العامة، 1995.
- اتحاد المغرب العربي، *الاتفاقيات الاقتصادية المغاربية*، الرباط: الأمانة العامة، 1993.
- جبهة التحرير الوطني، *نداء أول نوفمبر 1954*، الجزائر: المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1984.
- جبهة التحرير الوطني، *وثائق مؤتمر الصومام*، الجزائر: المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1986.
- جبهة التحرير الوطني، *برنامج طرابلس*، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- جامعة الدول العربية، *وثائق القمة العربية الأولى - الدار البيضاء 1961*، القاهرة: الأمانة العامة، 1961.

.2المذكرات والسير الذاتية:

- بن بلة، أحمد، *مذكرات أحمد بن بلة(1918-2012)*، الجزائر: دار الحكمة للنشر، 2006.
- بورقيبة، الحبيب، *خطب الزعيم الحبيب بورقيبة*، 7 أجزاء، تونس: الدار التونسية للنشر، 1975.
- عباس، فرحات، *ليل الاستعمار*، الجزائر: منشوراتSNED ، 1976.
- عباس، فرحات، *الاستقلال المصادر*، الجزائر: منشوراتSNED ، 1984.
- مصالي الحاج، *مذكرات مصالي الحاج(1898-1938)*، الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر، 1990.

ثانياً: المراجع العربية

أ. الكتب:

- بوازيز، يحيى، *مجازر 8 مايو 1945 في الجزائر*، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
- بوعزيز، يحيى، *المسألة الحدودية المغاربية*، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر، 1992.
- بوعزيز، يحيى، *أزمة الصحراء الغربية: الجذور والتطورات*، الجزائر: دار الهدى، 1995.
- الجابري، محمد عابد، *المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية*، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000.

- حربي، محمد، *جبهة التحرير الوطني: الأسطورة والواقع*، باريس: منشورات جان نويل، 1980.
- حربي، محمد، *الثورة الجزائرية: سنوات التأسيس(1954-1958)* ، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2012.
- حربي، محمد، *الثورة الجزائرية: سنوات المواجهة(1958-1962)* ، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2013.
- حربي، محمد، *الجزائر والتحديات: قراءات في التاريخ السياسي المعاصر*، الجزائر: دار القصبة، 2010.
- حربي، محمد، *هواري بومدين: سيرة سياسية* ، الجزائر: دار القصبة، 2015.
- زوزو، عبد الحميد، *نصف قرن من النضال: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية*، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982.
- سعد الله، أبو القاسم، *الحركة الوطنية الجزائرية*، 4 أجزاء، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992.
- ستورا، بنيامين، *مصالي الحاج: رائد الحركة الوطنية الجزائرية(1898-1974)* ، الجزائر: دار القصبة، 2004.
- عبد الكريم، أحمد، *حزب الشعب الجزائري: التأسيس والمسار*، الجزائر: دار الأمة، 1988.
- عياش، جرمان، *محمد بن عبد الكريم الخطابي: حياته وكفاحه*، الدار البيضاء: دار الثقافة، 1988.
- العروي، عبد الله، *الإيديولوجيا العربية المعاصرة*، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1995.
- الفاسي، علال، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1948.
- غلاب، عبد الكريم، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من 1912 إلى 1956* ، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1987.
- غلاب، عبد الكريم، *المغرب المعاصر: قراءات في التحولات السياسية والاجتماعية*، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1990.

- الهيلة، محمد الحبيب، *الحركة الوطنية التونسية 1939-1952* ، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1987.
- الهيلة، محمد الحبيب، *الحركة الوطنية التونسية 1952-1956* ، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1989.
- الهيلة، محمد الحبيب، *تونس والثورة الجزائرية* ، تونس: الدار التونسية للنشر، 1990.
- الهيلة، محمد الحبيب، *تونس والمغرب العربي*، تونس: الدار التونسية للنشر، 1995.
- المقريف، محمد، *ليبيا بين الماضي والحاضر*، طرابلس: دار الفرجاني، 1984.
- المقريف، محمد، *القذافي والمشروع المغاربي*، طرابلس: دار الفرجاني، 1995.
- مراد، علي، *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: التاريخ والدور*، الجزائر: دار الهدى، 1988.
- الوزاني، محمد لحسن، *حرب الرمال المغربية-الجزائرية 1963* ، الرباط: مطبعة الأمنية، 1990.
- ركيبي، عبد الله، *الأدب الجزائري والثورة التحريرية*، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2009.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

أ. باللغة الفرنسية:

- Julien, Charles-André, *L'Afrique du Nord en Marche: Nationalismes Musulmans et Souveraineté Française*, Paris: Éditions Julliard, 1972.
- Harbi, Mohammed, *FLN: Documents et Histoire 1954-1962*, Paris: Éditions Jeune Afrique, 1981.
- Ageron, Charles-Robert, *Histoire de l'Algérie Contemporaine (1830-1999)*, Paris: Presses Universitaires de France, 1999.
- Meynier, Gilbert, *Histoire Intérieure du FLN 1954-1962*, Paris: Fayard, 2002.

ب. باللغة الإنجليزية:

- Horne, Alistair, *A Savage War of Peace: Algeria 1954-1962*, New York: NYRB Classics, 2006.
- Ruedy, John, *Modern Algeria: The Origins and Development of a Nation*, Bloomington: Indiana University Press, 2005.

- Perkins, Kenneth J., *A History of Modern Tunisia*, Cambridge: Cambridge University Press, 2014.

رابعاً: الأطروحات الجامعية

- داهش، عبد القادر، *لجنة تحرير المغرب العربي ودورها في الكفاح المغاربي المشترك-1947)1956(*، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2004.
- الدرويش، أحمد، *الأمير عبد الكريم الخطابي ودوره في الحركة الوطنية المغاربية*، أطروحة ماجستير، جامعة دمشق، 2008.
- العربي، محمد، *المؤتمرات المغاربية أثناء الثورة الجزائرية*، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس، 1999.
- الميلي، فاطمة، *العلاقات الجزائرية-المغربية خلال الثورة التحريرية*، أطروحة ماجستير، جامعة وهران، 1984.
- مقالتي، عبد القادر، *التضامن المغاربي مع الثورة الجزائرية*، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2010.

فهرس

الموضوعات

الموضوع	الصفحة

مقدمة 05

المحاضرة الأولى: المغرب العربي: التعريف والمقومات الجغرافية والحضارية 07

المحاضرة الثانية :الإرهاصات الأولى للوعي المغاربي في الحركة الوطنية الجزائرية(1919-1926) 15

المحاضرة الثالثة :الكفاح المغاربي المشترك بين الحربين العالميتين(1926-1939) 20

المحاضرة الرابعة :محاولات الوحدة المغاربية خلال الحرب العالمية الثانية(1939-1945) 28

المحاضرة الخامسة: تبلور الكفاح المغاربي المشترك بعد الحرب العالمية الثانية(1943-1947) 35

المحاضرة السادسة: دور الحركة الوطنية الجزائرية في الكفاح المغاربي المشترك(1947-1954) .. 42

المحاضرة السابعة: دور التيار الاستقلالي في بلورة الكفاح الثوري المغاربي(1948-1954) 51

المحاضرة الثامنة: الكفاح المغاربي المشترك مع بداية الثورة الجزائرية(1954-1956) 59

الخاتمة العامة..... 68

قائمة المصادر والمراجع..... 71

فهرس الموضوعات..... 76